الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

التواجد العثماني في الجزائر من خلال مذكرات

-خير الدين بربروس-

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حديث

إعداد الطالبين (ة):

– سعاد بلوذيني

– مسعودة بن عادل

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د.صالح لميش	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيسا
د. يمينة بن رحال	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. سيد علي احمد مسعود	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

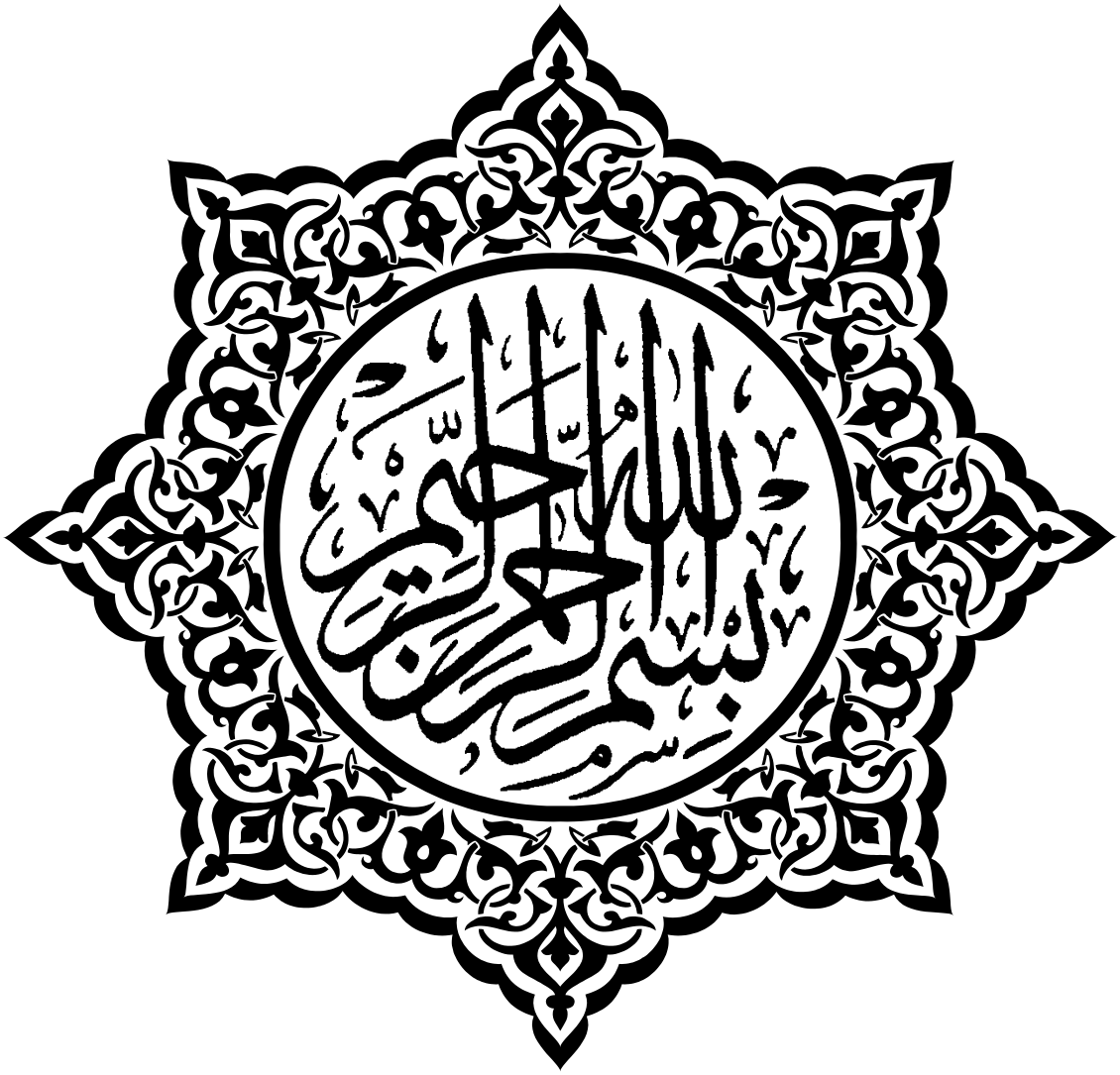
بسم الله الرحمن الرحيم

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذتنا المشرفة (**د . بن رحال يمينة**) منبع المعرفة و السراج

التي أنارت دربنا فكل الشكر والاحترام لها

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم التاريخ

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

الاهداء

في بداية الشكر والحمد لله فإليه ينتسب الفضل كله في إكمال مسيرتي العلمية الى الذي بذل جهد السنين من أحمل اسمه بكل افتخار اليك والدي الحبيب الى معنى الحب والحنان الى من كان دعائها سر مناحي اليك والدتي الغالية ، الى زوجي لما قدمه لي من دعم كي أحقق طموحي ، أدمك الله فخرا لي الى توأم روحي ورفقاء دربي الى من بهم أكبر وعليهم أعتمد ابنائي فلذة كبدي وهنا تبعثرت الكلمات لدكاترتي الأفاضل حينما حاولت أن اسطر لكم عبارات الشكر والامتنان لقاء مجهوداتكم الرائعة التي علمتني وأنارت لي طريق العلم والمعرفة فلكم مني فائق الشكر والامتنان والتقدير .

مسعودة

الاهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنهاء هذا العمل وها نحن اليوم نقطف ثمار مسيرة أعوام وها وصلنا وليدنا شعلة علم وسنحرص أن لا تنطفئ .

أتقدم بجزيل الشكر الى القلب الحنون من تحتها جنات النعيم الي " أمي الحبيبة" التي كانت بجانبي بكل المراحل وكانت شمعة تحترق لتضئ دربي وكل الفضل الى رفيق دربي وسندى في الحياة " أبي الحبيب" قرة عيني الذي علمني ودعمني للوصول الى جميع طموحاتي .

الى سندي في هذه الحياة " زوجي الغالي"

أرفعوا رؤوسكم ها قد تخرجت وحققت حلمكم

وكل أصدقائي وأستاذتي والى كل من ساندوني في السراء والضراء .

سعاد

قائمة المختصرات	
ج	جزء
د،م،ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
م،ت،ج،م	مجلة تاريخ الدراسات التاريخية
م،د،ت	مجلة الدراسات التاريخية
م	ميلادي
هـ	هجري
تق	تقديم
تع	تعريب
تح	تحقيق
م،و،ك	المكتبة الوطنية للكتاب
م،و،ط	المؤسسة الوطنية للكتاب

مقدمة

مقدمة:

يحتوي الأرشيف العثماني حاليا على الآلاف من الوثائق حول الجزائر، التي تحكي وتغطي كل الفترات التاريخية التي حكمها العثمانيون حتى بعد الاحتلال الفرنسي، أي بين القرنين 16م و 19، وتحتاج هذه الوثائق إلى قراءتها وتحليلها بشكل يساعد الباحثين على فهم تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ومعرفة أبعاده المختلفة السياسية منها، والاجتماعية والدينية والعسكرية والاقتصادية، ومن هذه الوثائق والمصادر العثمانية حول مسألة الدخول العثماني إلى الجزائر، وفهم أبعاده وخلفياته خلال الربع الأول من القرن 16م إضافة إلى الوثائق العثمانية ومن بين اهم المصادر العثمانية التي عايشت الأحداث مذكرات خير الدين بربروس التي تعد المصادر حية عايشت الدخول العثماني للجزائر، وكتاب بحرية لبيري رئيس، وكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة.

وتعتبر المذكرات الشخصية، من أهم وأبرز المصادر التاريخية ذاتُ الطابع السردي المُشوّقِ والمَغمُور بروح المغامرة والمليئة بالإشارات التاريخية المنطوية عليها سطور هذه الكتابات ، كانت المذكرات العثمانية وعلى رأسها ما تركه القائد خير الدين بربروس، ملاذا للعديد من المؤرّخين العرب والأتراك والغربيين في معرفة البدايات الأولى للدخول العثماني إلى الجزائر، ورصد ملامح الحياة العامة للمجتمع الجزائري خاصة في المجال السياسي والعسكري والإداري والإقتصادي والإجتماعي، ولعلّ ما يُشيد بأهمية هذه الكتابات أنّ أخبار الحكّام العثمانيين في الجزائر ينتابها نوع من الفُتُور ، نظرا لعدم ضُفْرِهم بكتاب يخلدوا آثارهم لتكون مرجعًا لخلفهم ، ناهيك عن طابعها الدقيق في عرض الأحداث التاريخية المدعم بالإحصائيات العددية، التي قلما نجدها في مصادر أخرى، ممّا يمنحها نوعا من الموضوعية في عرض الظاهرة التاريخية.

- أهمية الدراسة

جاءت أهمية الدراسة إلى جملة من الحوافز والتي من أبرزها:

- المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة في التاريخ العثماني من من الجانب الديني والروحي .

- تقديم صورة واضحة وموضوعية وشاملة عن مذكرات وكتبات خير الدين بربروس .

1- القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بربروس.

2- بيان المصادر التي تمت لكتابة هاته المذكرات.

3- معرفة حيثيات وأسباب تواجد الاخوة بربروس في الحوض المتوسط وخاصة الجزائر

- توضيح دور الاخوة عروج وخير الدين في استكمال ضمّ المغرب الأوسط للنفوذ العثماني.

- دوافع اختيار الدراسة:

تمت الاختيار على الدراسة التي بين أيدينا وفق دوافع موضوعية وأخرى ذاتية منها ماي لي:

-الموضوعية:

- معرفة الأسباب الحقيقة التي أدت بخير الدين بربروس الى كتابة مذكراته.

- تكمن في معرفة الحيثيات التي عرفتها الجزائر بعد انهيار الدولة الزيانية وتوالي الخطر الاسباني واحتلال عدة مدن مما أدى الاستنجاد بالعثمانيين، وما عرفته الجزائر من تطورات أدت إلى التحاقها بالخلافة العثمانية.

- معرفة الأسباب التي أدت الى تواجد الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط(المغرب الأوسط) الجزائر..

-الذاتية:

- تكمن في الحب الاطلاع في هذا الموضوع والبحث والتعمق فيه. وقد جاء بحثنا هذا المعنون الوجود العثماني في الجزائر من خلال مذكرات خير الدين بربروس"، والذي يعبر عن التاريخ العثماني في الجزائر كأحد المصادر المهمة.

- الميول الشخصي لمثل هذا النوع من الدراسة وفق التخصص، وحب المعرفة والاطلاع .

– خلو المكتبة الجامعية لمثل هذه الأنواع من الاعمال، ومحاولة اثراء الرصيد الجامعي بهذه الاعمال حتى تعد مصادر يمكن الرجوع اليها مستقبلا.

إشكالية الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع بالتفصيل وضعنا إشكالية رئيسية تهدف إلى تحديد النقاط الأساسية في البحث والمتمحورة حول السؤال التالي:

–ما هي أسباب التواجد العثماني في الجزائر من خلال مذكرات خير الدين بربروس؟ وما قيمة المذكرات في الكتابات التاريخية؟

و يتفرع على هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية منها:

– ماهي ظروف تدوين المذكرات في ظل الصراع داخل الحوض الغربي للمتوسط؟

– فيما تمثلت الاحداث التي تضمنتها مذكرات خير الدين بربروس؟

– فيما تمثل الدور الجهادي للإخوة بربروس خلال فترة تواجدهم في الجزائر؟

خطة الدراسة:

تم الاعتماد ف دراستنا على مدخل تمهيدي وفصلين جاءت كما يلي:

المدخل التمهيدي وتم التطرق فيه الى: التعريف بالكاتب و شكل المذكرات وأسلوبها وكذا التعريف بصاحب المذكرة و تعريف بمترجم المذكرة: محمد دراج، كما تم التطرق الى محتوى المذكرات ووضفها الخارجي وكذا مقاساتها والأسباب التي كتب من أجلها ، حيث عرفت المذكرات عدة تراجم وفي الأخير تطرقنا الى القيمة التاريخية للمذكرات، الأهمية، والنقد والى خاتمة المذكرات.

اما الفصل الأول فتعرضنا الى بداية التواجد العثماني في جزيرة ميدلي، وكيفية استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميدلي ، وكذا وقوع عروج أسير لدى النصارى في جزيرة رودس وفراره، وتواجده ف يكل من مصر وتونس.

اما في الفصل الثاني فتم فيه بروز الإخوة بربروس في الجزائر، ودورهم في تحرير سواحل الحوض الغربي للمتوسط منها جيجل و بجاية من الاسبان، مسألة تحرير مسلمي الأندلس

وتم ايضا المحاولة الثانية لتحرير بجاية، وكيفية الاستيلاء على مدينة الجزائر الى غاية استشهاد عروج رايس عام 1815، حيث تم إخضاع تلمسان، ووصولا الى شارلكان – و خير الدين بربروس وفي الأخير آخر غزوات خير الدين ووفاته في 1543.

– حدود الدراسة

الحد المكاني: يمتد الحد المكاني للدراسة في منطقة المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا).

الحد الزماني: تمتدُّ حدود الدراسة الزمنية ما بين عامي (916–953هـ / 1510–1546م)، أي منذ بداية النشاط البحري للأخوين بربروس في الحوض الغربي للبحر المتوسط، حتى تاريخ وفاة (خير الدين).

– منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجين رئيسين، هما:

المنهج التاريخي: وهو منهج، سوف يساعدنا في الحصول على المعلومات الأولية لموضوع الدراسة، كون الاحداث التاريخية وترتيب كرنولجيا الاحداث.

المنهج الوصفي التحليلي: كون المذكرات وثائق تاريخية يمكن تحليلها ، وذلك لتفسير المعلومات الخاصة بدور الأخوين (عروج) ، و(خير الدين بربروس) في بسط النفوذ العثماني في المغرب الأوسط، وتحليلها، وبيان أهميتها وقيمتها العلمية.

– اهم المصادر والمراجع المعتمدة.

مذكرات خير الدين بربروس ": هذا الكتاب جدا لأنه مهم صور لنا الوقائع من شخص عايش الحدث فهي حقائق لا تدعو للشك، فصور لنا قدوم عروج للمغرب الأوسط ثم خير الدين وانضواء الجزائر تحت الحكم العثماني، حملة شارلكان وقد اعتمدنا عليه في ذلك.

كتاب هايدو فراي ديغو" تاريخ ملوك الجزائر " تطرق فيه إلى مرحلة هامة من تاريخ الجزائر إذ يعتبر مصدرا مهما لتاريخ الجزائر في القرن 16م ، وكيف ظهرت إلى الوجود كما أعطى لمحة على أصل حكامها، وكيفية وصول الإخوة إلى الحكم وغير ذلك من المعلومات إلا أنه متحامل كثيرا على الأتراك العثمانيين، لأنه كان أسيرا، لذلك يجب الأخذ عنه بحذر ،

كما ورد في كتابه أخطاء في التواريخ حيث أورد أن خير الدين توفي على عمر يناهز 63 سنة.

"كتاب سيرة المجاهد خير الدين بربروس" لمؤلف مجهول، يختص هذا الكتاب في دراسة شخصية خير الدين وأهم أعماله ساعدنا هذا الكتاب في دراسة أهم النشاطات الأولى بقيادة خير الدين.

كتاب محمد دراج "الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543م"، يعتبر هذا المرجع مهما جدا، لأنه يؤرخ لفترة بدايات التواجد العثماني في الجزائر، وقد اعتمدنا عليه كثيرا، غير أنه ورغم أهميته فإنه توسع كثيرا في دراسة الدولة العثمانية وأوروبا باعتبارها مدخلا للدارسة وهي الدخول العثماني إلى الجزائر.

- الصعوبات التي واجهت الدراسة:

من الطبيعي أن يواجه أي باحث أثناء إنجاز بحثه العديد من الصعوبات والعراقيل التي تقف عرضة في مسيرة بعض جوانب الموضوع ومن أبرزها :

-صعوبة التحكم في شساعة الموضوع وطول فترة الدراسة كطلبة باحثين مبتدئين وهو ما شكل ضغطا علينا.

-نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي خاصة جمع المادة العلمية واستيعابها وتحليلها وصياغتها.

-تعذر الحصول على بعض المصادر التي تخدم الموضوع بشكل عام وخاصة منها الأجنبية، هذه الأخيرة التي تشكل مشكل أو صعوبة أخرى ألا وهي الترجمة وعدم فهم اللغات.

- محدودية الدراسات التي تعرضت للموضوع المدروس وهي قليلة، فحتى الموجود منها معظم دراسات عامة تتعدى التعمق أكثر في جوانب الموضوع خاصية الدينية منها .

- صعوبة الوصول إلى المصادر والمراجع خاصة الأرشيفية والتي تتطلب منا السفر.

- الانقطاع عن الدراسة لفترة زمنية طويلة دامت أكثر من 16 سنة.

مدخل تمهيدي

أولا: التعريف بالكاتب

ثانيا: شكل المذكرات وأسلوبها

ثالثا: التعريف بصاحب المذكرة

رابعا: تعريف بمترجم المذكرة: محمد دراج

خامسا: محتوى المذكرات

سادسا: الوصف الخارجي للمذكرات

سابعا: مقاساته

ثامنا: سبب كتابة المذكرة

تاسعا: ترجمات الكتاب

عاشرا: القيمة التاريخية للمذكرات، الأهمية، والنقد

الحادي عشر: خاتمة المذكرات

تمهيد:

تنوعت المصادر التاريخية اليت كتبت عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ، سواء أكانت عربية أما أجنبة ، وجاءت في شكل رحلات او تقارير او مذكرات وبين أيدينا مذكرات خير الدين بربروس التي تعد من أهم المصادر الكتابة التاريخية التي أرخت للجزائر في الفترة الحديثة ،وهي تدخل كذلك ضمن كتب التراجم والسير من حيث انها تروي أحداث عاشها أصحابها وتسجل منجزاتهم .... يخلد اصاحبها بأقلامهم مآثرهم وتجارب حياتهم و مايحيط بها أحداث ،قام بتأليفها خير الدين بربروس في القرن 16 م ،وقام بترجمتها محمد دراج في سنة 2010 م في الطبعة الأولى اما الطبعة الثانية كانت سنة 2015م إن الهدف الذي نصبوا اليه من خلال دراسة هذه المذكرة ،تغير وجهة نظر السلبية بعض المؤرخين الجزائريين بخصوص التواجد العثماني في الجزائر ، ولتعرف على ذلك تم الاعتماد في هذا الفصل على:

أولا: التعريف بالكاتب

ثانيا: شكل المذكرات وأسلوبها

ثالثا: التعريف بصاحب المذكرة

رابعا: تعريف بمترجم المذكرة: محمد دراج

خامسا: محتوى المذكرات

سادسا: الوصف الخارجي للمذكرات

سابعا: مقاساته

ثامنا: سبب كتابة المذكرة

تاسعا: ترجمات الكتاب

عاشرا: القيمة التاريخية للمذكرات، الأهمية، والنقد

الحادي عشر: خاتمة المذكرات.

أولا: التعريف بالكاتب

تشكل مذكرات البحار خير الدين بربروس، من أهم المصادر التاريخية التي تعكس السيرة الذاتية لهذا القائد المجاهد في العصر الحديث، حيث تعد هذه الأوراق حصيلةً أَلْقَت تاريخيةً لعديد السنوات والتجارب الشخصية التي بضلالها على ضفتي المتوسط ، لتلامس الحضارة العثمانية شرقا، والدولة الجزائرية غربا ، ولتنافس الضفة الأخرى من المتوسط الأوربية الصليبية.

لقد كان للأديب سيدي علي مرادي دور ريادي وحَظُ أَوفر في كتابة هذه المذكرات التي أملاها له خير الدين بناءًا على أمر من السلطان سليمان القانوني منذ خروجه من المدينة ميديلي[1] مسقط رأس الأخوين – عن أهم الغزوات التي قاما بها وكيف تم فتح بلاد الجزائر ومقاومة الغزاة من الإسبان والملاحظ أن هذه المذكرات قد كتبت من الذاكرة بحضور صاحبها؛ لذا فإنّ أمر إسقاط بعض الأحداث التاريخية مُمْكِن الوقوع؛ لكون الكتاب موجه للسلطان الذي عرف بشدّته وحزمه، أو ربّما كان حافلاً بالايجابيات والمساوئ، لأنَّ الغَرَضَ منها الإستفادة من تجارب خير الدين في التعامل مع النصارى خصوصا والبربر عموما ، وهذا ما يُثبتُ خُلُو هذه المذكرات من وصف للأحوال الشخصية لخير الدين، عكس ما تداولته المذكرات المعروفة التي تُعطي جانبا مهما لحياتها وتكوينها الشخصي.

ثانيا: شكل المذكرات وأسلوبها

وجاءت المذكرات بعنوان" مكرات خير الدين بربروس"، و قد كتبت باللغة التركية القديمة، بأمر من السلطان سليماني القانوني، دون أن تحدد المصادر بداية كتابتها أمام غياب النسخة الأصلية المخطوطة، حيث نشرت لأول مرة من طرف الصحفي التركي يَلْمَازِ أُوزْتُونَا بمجلة الحياة التاريخية سنة 1410هـ / 1989م، ثمّ نشرت على شكل مذكرات سنة 1416هـ / 1995م تحت عنوان "غزوات خير الدين تـ باشا" ، ونظرا لما تحويه من فائدة تاريخية، فقد

[1] جزيرة ميديلي: جزيرة MEDELI مقابل ساحل إيجة بتركيا ، تم فتحها في عصر السلطان محمد الفاتح، وترك بها حامية عثمانية، والتي كان ضمن أفرادها يعقوب آغا والد الإخوة بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: د.دراج محمد ، ط2، دار طليطة، للنشر والتوزيع، الجزائر، 1436هـ/2015م، ص20.

تُرجمت إلى عديد اللغات لأهميتها في كتابة التاريخ العثماني والمتوسطي عموما، والجزائري خصوصا[1]

كتبت بأسلوب سلس وواضح لا غموض فيها وبساطة اللغة المفهومة، بحيث تنطلق من الدافعية الأولى لكتابة سيرته، لذا كانت في معظمها سهلة الفهم، لا غموض فيها ذلك أن خير الدين كان يهدف من خلالها إلى تبيان كل الاحداث التي شارك فيها صيغتها بنفسه أو أمر بها او تمت تحت مرآه، وبذلك فإنّ الغرض منها هو إيصال رسالة للقارئ تُتِيحُ له التعرف على أمجاد وبطولات خير الدين ضدّ الأعداء من الصليبين الإسبان، وعن نصرة الإسلام والمسلمين في بلاد المغرب، ولعل هذا التوجه في ما بدى واضحًا في الخطاب الديني المؤثر الذي أشار إليه، في ذلك الصراع المحتدم بين المسلمين والنّصارى، ورغم ذلك فقد أظهر نوعا ما روح العصر ، ونمط التفكير المنتشر آنذاك بعقلية عثمانية متحضرة[2]

ثالثا: التعريف بصاحب المذكرة .

- خير الــدين بربروس 1472م-1543 م

مولده و نشأته:

إسمه : خضر و اشتهر بلقب بربروس ، أي ذو اللحية الشقراء[3]. و أطلق عليه السلطان سليم الأول لقب خير الدين.[4]

يتصل نسبه بأبيه يعقوب بن يوسف، الذي نشأ بمنطقة الأناضول حيث كان له أربع إخوة وهم: عُروج وإلياس وإسحاق وخضر(خير الدين) وأُختان على أنّ أصل أمه يكتنفه الغُمُوضُ من حيث انتسابها إلى الروم الرهبان أو إحدى نساء الأندلس[5]

---

[1] خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص4

[2] المصدر نفسه، ص4.

[3] وهو لقب اطلقه الاروبيين عليه وعلى أخيه عروج لشقرة لحيته.

[4] ويرجح ان اسمه " خسرف" حسب : أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا. 1492-1792 ، ط.1 ، دار البصائر، الجزائر، 1428هـ / 2007م، ص: 156.

[5] لأغا بن عودة المزاري ، طَلَعُ سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر ، دراسة وتحقيق يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/ 1990م، ص251- 252، أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، المرجع السابق، ص 142.

ولد خير الدين بربروس بمدينة مديلي حوالي 1472م وتوفي سنة 953هـ / 1543م، ودفن بموضع شَكْطَاش (تركيا حاليا والقريبة من العاصمة إسطنبول)

بساحل البوسُفُور عن عُمر يناهز 63 سنة[1]، حيث تميز بالعديد والصفات الخُلقيّة والجسمانية التي تؤهله لحمل مشعل القيادة بغرب المتوسط ، ولعلّ تكوينه قد جعل منه شخصًا مَربُوعًا غَلِيظَ البنية ذو شَجاعةٍ ونَباهة وعلمٍ وزُهَدٍ وتقوى وحِلمٍ ورَأفة، ناهيك عن قدرته القيادية وحنكته السياسية، إضافة إلى أُفُقه الواسع واطلاعه على الحضارات من خلال امتلاكه لحسّ مُرهفٍ ولُغاتٍ مُتعدّدةٍ جعلته كَثِيرَ التواصل مع كل المستجدّات [2]

والظاهر أنّ خير الدين قد اتخذ من المجال التجاري أولى النشاطات العملية في حياته اليومية لتتاح له الفرصة في التدرج بالمناصب الإدارية للدولة ، ولعلّ من أبرز الألقاب التي مُنحت له لقب قُبْطَان بَاشَا من طرف السلطان العثماني لسليمان القانوني (927-974هـ /1520-1566م) سنة 940هـ/1533م ، ليكون مُعتليًا أمير البحرية العثمانية جرّاء ما قدمه من أعمال لِنُصرة المسلمين في الحوض الغربي للبحر المتوسط[3] وبذلك فإنّ الصفات المميّزة لهذه الشخصية قد جعلت منه شخصية سياسيةً مجاهدةً تدافع عن الإسلام والمسلمين، لذا يعد من الأوائل الذين حملوا مشعل الجهاد البحري، وإحدى الشخصيات التي مهدت لتأسيس الجزائر العثمانية.[4]

---

[1] مجهول سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، 1430هـ /2009م، ص05، في حين تذكر مصادر أخرى أنّ عمره يوم وفاته كان 83 سنة أي أنه ولد سنة 868هـ/1463م، ينظر خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 214.

[2] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش الجزائر، د.ت ، ص128.

[3] محمد العباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلّف مجهول من سنة 918هـ / 1512م الى سنة 953هـ/1546م، رسالة ماجستير، إشراف الجيلالي سلطاني كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران 1426 1427هـ /2005-2006م، ص22.

[4] جون .ب. ولف، الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1407هـ/1986م، ص 35-36.

رابعا: تعريف بمترجم المذكرة

محمد دراج هو أستاذ تاريخ حديث قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية بجامعة الجزائر تحصل على الدكتوراه من جامعة مرمرة بالإسطنبول {تركيا} تخصصه الدقيق الدولة العثمانية والعالم الإسلامي في عصر السلطان سليمان القانوني، له عدد وافر من المقالات المنشورة في الدوريات الجامعية بالجزائر وتركيا، شارك في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية بالجزائر وخارجها، عضو مشرف ومناقش للرسائل الجامعية بالجزائر، قام بترجمة مذكرات خير الدين بربروس من التركية إلى العربية، وله عدد من الأعمال العلمية تحت طبع، وأخرى قيد الإنجاز.

خامسا: محتوى المذكرات

الكتاب مجرد سيرة ذاتية يتحدث فيها خير الدين بربروس عن نفسه وعائلته وأولاده وحياته الخاصة، كما هو معهود في كتب السيرة الذاتية. غير أن متصفح المذكرات يلاحظ خلوها بشكل شبه كامل من الإشارة إلى الأمور الشخصية والعائلية المتعلقة بخير الدين، إلا ما كان منها متعلقا بسير الأحداث التي عاصرها. بل إن صاحب المذكرات يشرع مباشرة في سرد الأحداث التي جرفته وأخوته لاقتحام عالم الجهاد البحري.[1]

ويستمر في سرد الأحداث وتطورها انطلاق الأخوة بربروس ليتوقف قليلا في شبه جزيرة رودس، حيث كان أروج رئيس برا عند فرسان القديس يوحنا، لينتقل بعد ذلك إلى سلطان مصر ودخول أروج في خدمته، قبل أن ينتهي به الأمر إلى الرسو في جزيرة جربة، حيث يلتحق به أخوه خير الدين فيقرران الاتصال بالسلطان الحفصي في تونس الذي أقنعاه بأن يسمح هما في الرسو في ميناء حلق الوادي، ويتخذاه قاعدة لجهادهما، على أن يدفعا إليه خمس ما يحصلان عليه من الغنائم وبيعا ما زاد عن حاجتهما في أسواق تونس.

ومن تونس تتلاحق عمليات الجهاد البحري، لتبلغ دورتها بالاستقرار في الجزائر وما رافقها من ثورات متتالية تولى قيادتها والتحريض عليها الزعماء المحليون بتحريض من الإسبان

[1] جون .ب. ولف، الجزائر وأوربا 1500-1830، المصدر السابق، ص36.

وسلاطين بني زيان في تلمسان وبني حفص في تونس. وخلال ذلك كان خير الدين يسرد بتفصيل دقيق غزواته البحرية ضد السفن والسواحل الإسبانية أو التابعة لها والمتحالفة معها، وكذا حملات الإسبان على المراسي الجزائرية.[1]

ولم يغفل خير الدين الحديث عن تطور علاقاته بالدولة العثمانية، وإعلان تبعيته للسلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين، وما واكب ذلك من تقارب في الرؤى والمواقف السياسية، الأمر الذي أفضى إلى تتويج ذلك الولاء بتعيين خير الدين قائدا عاما للأسطول العثماني حاملا لقب قبطان داريا، وهو أعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية. فأثبت خير الدين أهليته وكفاءته العالية في قيادة الأسطول العثماني بتحقيقه انتصارا باهرا في معركة بروزة[2] PREVEZE على السواحل الإيطالية سنة 1538، تلك المعركة التي كانت بين الأسطول العثماني والتحالف الصليبي بقيادة البحار الجنوي أندريا دوريا[3]، فكان من أثر ذلك الانتصار أن تمكن العثمانيون من فرض سيطرتهم على البحر المتوسط أكثر من ثلاثين عاما. وأسهب خير الدين في الحديث عن محاولة الإمبراطور شارلكان[4] غسل هزيمته في بروزة بتجهيز حملة كبيرة تحت قيادته لغزو الجزائر واحتلالها1541، مستغلا غياب خير الدين

---

[1] جون .ب. ولف، المصدر السابق، ص37.

[2] معركة بروزة وتعرف بمعركة بريفيزا نظرا لوقوعها بالقرب من ميناء بريفيزا غرب اليونان في 04 جمادى الأولى 945هـ الموافق ل 28/09/ 1538م، بين أسطول خير الدين وأسطول التحالف الأوروبي بقيادة أندري دوريا الذي قاد الأسطول الاسباني، وكان ذلك زمن السلطان سليمان القانوني وهي المعركة التي حسمت التاريخ للعثمانيين بالمتوسط. ينظر :www.alukah.net

معركة برزوة مجد البحرية العثمانية، وقت الدخول 08.26 ووقت الخروج 08.38. بتاريخ 2024/03/10 .

[3] أندري دوريا: من ابرز البحارة المرتزقة الجنوبين عاش مابين سنتي(870- 968هـ/1465-1560م)، خضع له أسطول بحري يمارس به مهنة القرصنة مقابل المال، خدم ملك فرنسا فرانسوا الأول والملك الإسباني شارل الخامس. ينظر : صالح عباد، المرجع السابق، ص53.

[4] تعريف شخصية شارلكان أو شارل الخامس: "Charles de Habsbourg ou Charles V, JL ' couramment Charles Quint : هو حفيد الملك "فرديناند الأول" ملك ،أراجون وإيزابيلا ملكة قشتالة، و ابن "فليب الجميل" و"جان "المجنونة" ، ولد سنة 1500م في "جنت –Ghent" ببلجيكا حاليا ، توج دوق بروجانديا و عمره لم يتجاوز 19سنة . لم يرث فقط البلاد المنخفضة (هولندة) فقط بل إسبانيا وممتلكاتها و الأراضي الشاسعة لآل هابسبورج في النمسا وألمانيا ؛ حيث توج ملكا لإسبانيا عام 1516م، و ملكا لجرمانيا في 1519م .3

ليمنى مرة أخرى بهزيمة منكرة على يدح باشا بن خير الدين الذي كان نائبا عنه في الجزائر. هذه الهزيمة التي دفعت الملك الإسباني إلى اعتزال السياسة، والاعتكاف في أحد الأديرة ليموت بعد ذلك.

ببضعة أشهر من شدة القهر ، حسبما أشار إلى ذلك خير الدين في مذكراته التي بعد هذه الحملة بقليل تتوقف المذكرات تقريبا عند سرد الحواد. تلتها، لأن خير الدين كان قد عاد إلى إسطنبول ولم يرجع إلى الجزائر سوي واحدة، وذلك سنة 1543 ليقود منها حملة بحرية على فرنسا إلا أنه قريش إليها في مذكراته لأنه كان قد فرغ من إملائها حسبها بيدو[1]

سادسا: الوصف الخارجي للمذكرات

يكتسي كتاب مذكرات خير الدين بربروس لمؤلفه خير الدين بربروس ومترجمه محمد دراج على واجهتين ،الواجهة الامامية للكتاب تحتوي في أعلها على عنوان المذكرة بخط الرقعة باللون البرتقالي وتحته الاسم مترجم المذكرة باللون البرتقالي ،وتحت اسم المترجم صورة لخير الدين بربروس و هو في مرحلة متقدمة من العمر اما على يسار الصورة احدى المعارك البحرية يتواجد فيها البحارة ،اما تحت الصورة يوجد رمز دار النشر مكتوبة باللون الاسود ،بالنسبة لون الواجهة فيتخللها لون الأزرق السماوي على شكل اطار يتراوح سمكه من 3 الى4سم،اما بالنسبة لصورة فيها تمازج لمجموعة من الألوان تشمل على اللون الابيض واللون الازرق واللون الاصفر واللون البرتقالي، اما رمز دار النشر فكان باللون الابيض كذلك.

وقد بلغ من طموح ،شارلكان، أنه رغب في إقامة إمبراطورية عالمية ذات حكومة مركزية تدين بالعقيدة الكاثوليكية لأنه حامي أوروبا والمسيحية الكاثوليكية ، ولذلك اعتبر صراعه ضد الجزائر بمثابة فتح جبهة ثانية ضد الأتراك العثمانيين. وعلى هذا الأساس حاول الاستيلاء على تونس عام 1535م والجزائر عام 1541م ولكن محاولاته باءت بالفشل

أما على مستوى أوروبا فقد تنافس شارلكان على اللقب الإمبراطوري بين ملك فرنسا فرنسوا الأول (1516 1561م) وملك انجلترا "هنري الثامن"(1491–1547م) ؛ فقد استطاع عام 1525م أن يأسر ملك فرنسا عام 1526م الذي اضطر لإمضاء معاهدة مدريد لصالح "شارلكان "مقابل إطلاق سراحه. – ر ف تابسيل ،معجم الدول والأسر الحاكمة في العالم عبر العصور، الجزء الأول الألفبائي ، ترجمة أحمد عبد الباسط ، مراجعة إسحاق تواضروس عبيد ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2011، ص201. – أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا المصدر السابق. ، ص 3.252

[1] في سنة 1543 قاد خير الدين حملة على فرنسا بناء على استنجاد ملكها فرانسوا الأول بالعثمانيين، وذلك لتحرير بلاده من الاحتلال الاسباني وتوجت هذه الحملة بطرد الاسلان من الأراضي الفرنسية ، ينظر مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص20.

وفيما يتعلق بالواجهة الخلفية للكتاب صماء ملونة الأزرق المائل الى الاخضرار، أما فيما يتعلق جانب الكتاب {العرض}فكان يحتوي في الوسط عنوان الكتاب باللون البرتقالي ،اما أسفل هذا الجانب فيوجد فيه دار النشر وفي أعلها فيوجد مترجم المذكرة .

أما تجليد المذكرة فهومن نوعية الورق المتوسط، أما فيما يتعلق عدد صفحات أما الوزن 650 غرام، اما صفحات الكتاب فهي276صفحة من النوع المتوسط .

سابعا: مقاساته

الطول:21 سم ،العرض :15 سم ،الارتفاع {العمق}:1.2 سم

كما نجد المذكرة تحتوي على276صفحة ،يتضمن فيه الفهرس على:

مقدمة المترجم صفحة:07 –09.

المقدمة: وفيها شرح القيمة التاريخية واهمية المذكرة 11–24.

سبب كتابة المذكرة واهم تفاصيل عن عائلة خير الدين بربروس من الصفحة :20 الى21.

مسار الاخوة بربروس من ميديلي الى الجزائر من الصفحة :27 الى 86.

انضمام الجزائر للدولة العثمانية واهم الاحداث بعد ذلك من الصفحة 111 الى 211.

اعتمدنا في تقسيمنا هذا على أساس التقسيم الموضوعي في دراسة المذكرة .

ثامنا: سبب كتابة المذكرة

لم يقم خير الدين بكتابة مذكراته، بل أملاها على رفيقه في الجهاد البحري البحار الشاعر سيد مرادي فقد ذكر خير الدين في مذكراته بأن السلطان سليمان القانوني أرسل إليه أمرا سلطانيا يأمره فيه بأن يكتب له كتابا يشرح له فيه كيف خرج هو وأخوه عروج من جزيرة ميديلي وتمكنا من فتح الجزائر وطرد الإسبان منها وتمكنا من فتح الجزائر وطرد الإسبان منها. وما الغزوات التي قاما بها في البحر .. وأمره بأن يرسل إليه الكتاب بعد أن يفرغ منه لكي يحتفظ به في مكتبه الخاصة وعلى هذا فإنه سيتضح بسهولة سبب اختلاف الباحثين في نسبة هذه المذكرات.

ذلك كذلك، فإنه من الطبيعي أن يقوم النساخ أو أصحاب تلك المخطوطات بوضع أسماء لها، كل حسبما يراه مناسبا. ولا شك أن عدم وجود اسم موحد للمذكرات ساهم بشكل

كبير في التباس الأمر على الباحثين، الذين ذهب الكثير منهم إلى الاعتقاد بأنها تعود لمؤلف مجهول لم يتمكنوا من الاهتداء إليه. ومما زاد في التباس الأمر، تدخل النساخ وتصرفهم في النص بسبب رداءة الخط، أو بسبب ضياع بعض صفحات الكتاب، أو سقوط بعض السطور أو الفقرات أو الجمل من النص الأصلي. فكان من اللازم – في نظرهم – أن يتدخل لتعديل النص. وطبيعي أن يفضي ذلك إلى زيادة الاختلاف بين النسخ واضطرابها[1]

تاسعا: ترجمات الكتاب

أدرك المؤرخون والباحثون الغربيون أهمية هذه المذكرات في وقت مبكر جدا. ولأجل ذلك قاموا بترجمتها إلى لغاتهم؛ كما قام آخرون بجعلها أرضية لكتاب جديد، يطابق محتواه ما ورد في المذكرات بنسبة كبيرة. وفيما يلي نماذج من الترجمات والمؤلفات التي استندت إلى المذكرات:

الترجمة الإسبانية التي تعد أقدم ترجمات مذكرات خيرالدين بربروس. حيث تمت ترجمة الكتاب للملك الإسباني فيليب الثاني في حدود سنة 1578 وذلك في مجلة Memorial Historico .Espagnol, VI ، وتوجد في مكتبة بلدية باليرمو باسم :

"La vida y Historia de Hayereddin Barbaroxa".

ومن الإسبانية ترجم أيضا إلى الإيطالية من طرف لويديجي ألكامورا

La Bita e la Storia di ariadino Luidigi Alcamora

Barbarossa ونشر في مجلدين بباليرمو بين سنتي 1884 و 1887 .

يعتقد بعض الباحثين [2]بأن الترجمة التالية التي نشرت بالإسبانية هي الترجمة

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص27.

[2]Aldo Gallotta," Seyid Murâdi Gazvât-ı Hayreddîn Paşa adlı (1) = eseri " Cev. Mahmut H. Şakıroğlu, Erdem, Atatürk Kültür Merkezi Dergisi, sayı 10, İstanbul, Ocak 1988, Cilt 4. s.127-149

العربية [1]حيث عثر المستشرق الفرنسي فانتو ردي بارادي في الفترة الممتدة بين 1788 – 1790، على مخطوط يتحدث عن معارك الإخوة بربروس فقام بترجمته إلى الفرنسية. ثم بقي الكتاب مترجما لم ينشر إلى أن قام س رانغ و ف.دنيز بنشره في مجلدين سنة 1837.

وحسب المعلومات التي ذكرها هامر فإن بارادي نظرا لكونه لم يعثر على مؤلف الكتاب الذي قام بترجمته إلى الفرنسية، ولكونه لم يكن يعلم بوجود غزوات خير الدين بربروس أي مذكراته، فإنه ظن بأن الكتاب الذي ترجمه يعود إلى أحد كتب الحوليات العربية التي تعود إلى القرن 16م.

وفي سنة 1857 قام أ. بابروجيه A. Berbrugger بتأكيد الافتراض الذي افترضه بارادي. حيث تأكد له بأن الكتاب الذي ترجمه هذا الأخير اعتمادا على النسخة العربية الموجودة بمكتبة الجزائر، والتي تحمل رقم 942، إنما هي ترجمة لنسخة تركية أصلية، وقام بمقارنتها بالمعلومات التي أوردها هامر عن كتاب الغزوات موضوع الدراسة[2].

وفي الفترة الممتدة بين 1883 – 1895 قام ج. ديسالان بنشر فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس. وخلال ذلك قدم تعريفا بمخطوطة بعنوان: "سيرة المجاهد خيرالدين بربروس" [3]وذكر بأنها تحمل رقم: 1878 . كما أشار بأنها تعود إلى القرن 17 ، ثم قام س. رانغ S. Rang، وف. دنيز F. Denis بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها.

وفي سنة 1884 قام .أ هو داس O. Houdas، و ر. باسي . Basset بتحقيق ونشر نسخة مخطوطة عربية تتحدث عن حياة خيرالدين بربروس عثر عليها بمكتبة جامع

[1] لا يعرف على وجه الدقة إن كانت توجد ترجمة عربية للمذكرات، غير أنه يعتقد بأن الكتاب الموسوم بـ: غزوات عروج وخير الدين والذي لا يعرف مؤلفه، اعتمد صاحبه في تأليفه بشكل أساسي على إحدى النسخ المخطوطة لمذكرات بربروس. وقد قام نور الدين عبد القادر بنشره بالجزائر سنة 1934. ولم يؤكد ناشر الكتاب أو ينفي هذا الزعم . وهذه النسخة كانت أساسا للترجمات الأوربية المذكورة.

[2] A. Bebrugger, Les époques militaires de la Grande kabylie, Alger, 1857 s.p p 309-310.

[3] قام الدكتور عبد الله حمادي بنشرها بالجزائر مؤخرا. ولم يتمكن هو الآخر من إثبات أو نفي الأصل الذي ترجم عنه هذا الكتاب، مع تأكيده بأنه ترجمة لأصل تركي مفقود وغير معروف. وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه نور الدين عبد القادر، الذي سبق أن نشر الكتاب اعتمادا على النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

الزيتونة [1]، وفي سنة 1890 قام باسي R. Basset بنشر النسخة العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية والتي تحمل رقم : 942/1622 ترجمتها الفرنسية. وحسبما أشار إليه باسي فإن النسخة العربية ترجمت من طرف شخص يدعى خوجة. وهذا الشخص كان يتولى منصب المفتي الحنفي ويدعى محمد بن علي الكولوغلي الجزائري. وأن هذه الترجمة قد تمت في القرن 18 وقد أكد باسي بأن النسخة الموجودة بمكتبة جامع الزيتونة هي نفسها التي توجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية. وإضافة إلى الترجمات السالفة الذكر فقد تمت ترجمة الكتاب أيضا من التركية إلى المجرية من طرف جوزيف توري joseph Thury باسم Török Törtenitirok ونشر في بودابست سنة 1896 في جزأين.

عاشرا: القيمة التاريخية للمذكرات، الأهمية، والنقد

1/القيمة التاريخية

تعد مذكرات خيرالدين في غاية الأهمية من حيث قيمتها التاريخية باعتبارها مصدرا اصليا واساسيا لمرحلة تواجد الاخوة بربروس و بالأخص خير الدين في شمال إفريقيا ،لأنها تعتبر شهادة عن الاحداث عصره التي شهدها و صنعها بنفسه ،خاصة القرارات التي قام باتخاذها في مرحلة الحرب والسلم بين الدولة العثمانية و لإسبانيا وحلفائها.

اشتملت هذه المذكرة على معلومات تاريخية نادرة جداً و لا تكاد توجد في غيرها من المصادر العربية أو التركية أو الاجنبية التي أرخت لتلك الفترة التاريخية.

يذكر خير الدين بربروس في مذكرته تفاصيل دقيقة وخاصة في جانب العلاقة بين السلطة العثمانية وأهالي الجزائر التي كانت تميز بالايجاب و السلب ،هذه تفاصيل تعد في غاية الاهمية بحكم معاصرة خير الدين لها .

أخذت مذكرات خير الدين بربروس في طابعها العام توجها عسكريًا سياسيًا وإقتصاديًا محضا ، لكون هذه المذكرات تمجد بطولات الأسرة اليعقوبية خاصة الأخوين عروج وخير الدين، لذا كان خير الدين كثير الإشادة بأخيه عروج مُعجبًا به في كل مراحل حياته الجهادية

[1]O. Houdas– R. Basset, Mission scientifique en Tunisie, II: Biliothèque. Les manuscrits arabes de Tunisie et de kairouan, Alger 1884, s.p 68

، والظاهر أنّ هذا الموقف الذي اتخذه خير الدين من أخيه جعله يجعل منه شخصا[1]، أسطوريًا وبطلاً لا مثيل له خاصة في قتال الإسبان، ومن ذلك قتله لمائة جندي إسباني بيد واحدة وفي يوم شديد الحر ومن هنا فقد أظهرت هذه المذكرات بعض المبالغات التاريخية، ولعلّ القصد منها تمجيد صورة الأخوين لدى السلطان العثماني سليمان، حيث نجده في بعض الأحيان يستعمل عبارات تهكُمية ضدّ المنافسين له، حيث وصف ابن القاضي بإبن الحَرَامِ والبَدَوي وألصق بسكان تلمسان صفة[2] الغباء والحماقة وسوء فهم القدر الإلهي ، ولعل من أبرز مظاهر حب الذات وترجيح فكره اليقيني هو محاولته التظاهر بالتخلي عن الجزائر العاصمة لإبن القاضي، والتي كان الهدف منها معرفة درجة ميل الرعية للحكم التركي، وإختبار درجة الذكاء أو السذاجة المجتمع الجزائري، لذا كان كثيرا ما يُقْنعُ نفسه أنّه هو الشخص الوحيد والمنقذ لسكان الجزائر من الإسبان[3]

اشتملت المذكرات أيضا على بيان أحد أهم أهداف حروب الدولة العثمانية ضد إسبانيا، وهي رغبة السلطان سليمان القانوني في غزو إسبانيا وفتحها من جديد حيث استدعى خير الدين إلى إسطنبول لأجل هذه الغاية لاستشارته في هذا الموضوع، قبل أن يغير رأيه ويستبدله بتعيين خير الدين بربروس قائدا عاما للأسطول العثماني.[4]

وبذلك فإنّ هذه المذكرات وإن انطوت على العديد من الأحداث التاريخية المطابقة للحقيقة، إلا أن بروز النزعة التركية والميل إلى الأصل وحبّ الذات ، تبدو واضحة في طريقة مع. سكان شمال إفريقيا، ولعلّ هذا التوجه يجعل الباحث يُثير مجددًا مسألة الوجود العثماني في الجزائر؟

2/الأهمية :

– حرص خير الدين بربروس عل تدوين تفاصيل تنقلاته فقد لنا صورة كاملة عن التواجد العثماني في الجزائر.

---

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص256.

[2] المصدر نفسه، ص ص256–257.

[3] المصدر نفسه، ص257.

[4] المصدر نفسه، ص 257.

– كشفت لنا المذكرات عن أحداث ووقائع تاريخية هامة تخص الجزائر في بداية التواجد العثماني ، وهي مرحلة حرجة كانت تعيشها الجزائر.

– رسم لنا الكاتب صورة حية لأحداث عاشها ودونها بنفسه أثناء تواجده في الجزائر وهي تتعلق به.

– المذكرات الشخصية لها أهمية بالغة في إعادة بناء الحدث ودراسته وتسجله، ذلك لقرب أصحابها من الأحداث ومعايشتهم لها في الزمان والمكان.

– إنتاجهم الفكري وصورة صادقة للفترة التي عاشها أصحابها بل هي اعترافات تعكس بصمات المؤلف التي عاش فيها، فهي بذلك تثري الكتابة التاريخية .

3/ النقد:

المذكرة التي بين أيدينا عبارة مصدر موثق لرحلة الاخوة بربروس و علاقتهم بالدولة العثمانية و أهل الجزائر وغيرها من الاحداث التي تخص الجهاد البحري ،لكن يلاحظ في أسلوب هذه المذكرة إدخال عنصر الذاتية بشكل كبير في كتابتها وهذا لا يقلل من اهمية الاحداث الدقيقة التي قلما نجدها في مصادر تاريخية أخرى ، بالإضافة الى العشوائية في سرد الاحداث .

ان المعروف لدينا عند كتابة أي مذكرة لشخص ما ،فانه يكون الشخصية الرئيسية فيها ،لكن خير الدين بربروس ركز بشكل كبير على شخصية عروج حتى وفاته ، اعتمد خير الدين بربروس على رفيقه المرادي في كتابة هذه المذكرات ،هذا الاخير هو أديب وشاعر متخصص نوعا ما في تأليف ،لكنه يكون متعاطف معه بشكل كبير هذا مما ادى الى بروز الذاتية في معظم الاحداث التاريخية ،كما أنه يساعده على الاستغناء على بعض الحقائق التي تكون ضده ،و ممكن أن مهمة لدينا باعتبارنا مؤرخين أكاديميين كتبت أحداث هذه المذكرة بصبغة دينية ،وهذا دليل على الشخصية الاسلامية التي تمتع بها خير الدين و من عاصره.

أما من ناحية منهجية المذكرة فإنها تكاد تنعدم من ناحية تقسيم الموضوعي ،أو الجغرافي والزمني ،و في أخير رغم هذه نقائص لا يمكن للباحث الاستغناء عليها في دراسته لبداية العهد العثماني في الجزائر .

الحادي عشر: خاتمة المذكرات.

نستنتج في الاخير أن هذه المذكرات كانت غاية من كتابتها الإرضاء السلطان سليمان القانوني بناء على الفرمان الذي وجهه الى خير الدين بربروس ، وملاحظ في هذه المذكرة ان الشخصية التي برزت في بداية الجهاد البحري للإخوة بربروس هي شخصية عروج فقد سرد خير الدين الاحداث كثيرة لعروج حتى خيل الينا أنه هو الرائد الاول للجهاد البحري قبل خير الدين ،وعندما انتهى بتحدث عنه بعد وفاته ظهرت شخصية خير الدين وانجازاته فيما يخص المساهمة في ضم الجزائر للدولة العثمانية ،غيرها من الحروب التي خاضها مع الاسبان ، وإنجازاته فيما يتعلق بتنظيم الدولة الجزائرية .

الفصل الأول

بداية التواجد العثماني في جزيرة ميدلي

أولا: استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميدلي

ثانيا: عروج أسير لدى النصارى في جزيرة رودس

ثالثا: فرار عروج من الأسر

رابعا: عروج في مصر

خامسا: عروج في تونس

تمهيد:

بالعودة الى تاريخ خير الدين بربروس الذي جعلنا من مذكراته نموذجا للمصادر العثمانية التي ألفت في النصف الأول من القرن م16 ، نجد أنه كان أول بيلرباي[1] على الجزائر، ثمّ قائدًا عاما للأسطول العثماني، وقد أملى مذكراته بطلب من السلطان سليمان القانوني كما ورد في مقدمتها، أشبه بتقرير رسمي يعرض فيه تفاصيل الأحداث التي عاشها منذ خروجه من مسقط رأسه بجزيرة ميديلي Midilli إلى استقراره بالجزائر وطرد الإسبان منها حيث سنحاول في هذا الفصل سرد بعض الاحداث من خلال مذكراته، من خلال الفصل تم الاعتماد على النقاط التالية:

أولا: استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميدلي .

ثانيا: عروج أسير لدى النصارى في جزيرة رودس .

ثالثا: فرار عروج من الأسر.

رابعا: عروج في مصر .

خامسا:عروج في تونس.

[1] بايلرباي: ويقصد بها أمير الأمراء ، وهي من المناصب العليا بالدولة العثمانية التي تقلدها خيرالدين بربروس وتدل على نيابة السلطان العثماني بالجزائر.ينظر: حنيفي هلايلي،أوراق في تاريخ الجزائر العثماني ، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص 130 .

أولا: استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميدلي .

جاءت في العديد من الدراسات الأجنبية والتركية حول استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميديلي وكيف كانت بدايتها، والعودة لمذكرة خير الدين بربروس سنحاول تقصى بعض الحقائق كيما يلي :

- فكرة تدوين المدكرة.

- ذكر خير الدين بربروس في المذكرة أمر الكتابة من السلطان سليمان القانوني[1]

قام خير الدين بإملاء هذا الكتاب على زميله و رفيق دربه في الجهاد البحري الشاعر الأديب السيد علي المرادي منذ خروجهم من جزيرة ميديلي إلى أن تمكنوا من حكم الجزائر وطرد الإسبان منها ،وتصدي لحملاتهم على سواحل الجزائر و إنقاذهم لآلاف من المهاجرين الأندلسيين من مذابح الإسبان .

في أثناء اتصالي بالسلطان سليمان خان بن سليم خان، ورد علي فرمان FERMAN [2]سلطاني، هذا نصه:

"**كيف خرجت أنت وأخوك عروج [3] ORUC من جزيرة ميديلّي** MEDiLi ، وفتحتم الجزائر ؟ ما الغزوات التي قمتم بها في البر والبحر حتى الآن؟ دوّن كل هذه الحوادث بدون زيادة أو نقصان في كتاب، وعندما تنتهي أرسل إلين نسخة لأحتفظ بها في خزانتي».

---

[1] سليمان القانوني : 1520م –1566م احد سلاطين الدولة العثمانية، تولى الخلافة بعد وفات أبيه سنة 1520م وفي عهده بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وإتساعها ، إشتهر بتسامح و العدالة نتيجة لذلك بقي يحبه شعبه ،عمل على بناء أطول قوي كبير يساعد على مواجهة عداء الاسلام في الشرق والغرب، قام بعدة قوانيين ،توفي عام 974 هـ أثناء قيادته للحملة العثمانية ذاهبة للمجرخير، الدين بربروس ، المصدر السابق، ص27.

[2] الفرمان: أمر سلطاني.وهو كل قرار أو أمر من الباب العالي يوجب التنفيذ ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 27.

[3] عروج: هكذا يسميه معظم المؤرخين والباحثين العرب. انظر على سبيل المثال: المزاري، طلوع سعد السعود، ص 251 . بينما تتفق المصادر والمراجع التركية على تسميته: أوروتش (هكذا بإدغام التاء في الشين ORUC). وزعم المدني أن اسمه تحريف لكلمة عروج (بضم العين وضم الراء المخففة بمعنى الصعود. ثم علل ذلك بأنه قد يكون عروج ولد ليلة الإسراء

عندما استلمت هذا الأمر ، استدعيت أحد أرباب القلم، زميلي في الكثير من غزوات البحر «المرادي» ، وأخبرته بفرمان السلطان فبدأنا على الفور في التدوين، أنا أملي و«المرادي»[1] يكتب:

عائلة خير الدين في جزيرة ميدلي

استقرار أبي يعقوب آغا [2]في ميديلي وزواجه بأمي

والمعراج فسمي بهذا الاسم تيمنا بتلك الليلة المباركة على عادة الأتراك تسمية أبنائهم ببعض أ الشهور والمناسبات الدينية مثل محرم و شعبان رمضان .. الخ. انظر: المدني، حرب الثلاثمائة سنة ص 157. 160. 161 . والأغرب من هذا كله أن الأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، شكك في إسلام ،عروج، ولم يخف تردده في كون هذا الأخير مسلما بالأصل أم أنه كان مسيحيا ثم أسلم ؟! انظر: الأمير سعيد الجزائري : الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر 2/60 . وأما عبد الحميد بن أشنهو فقد نقل عن هايدو أن عروج كان مسيحيا ثم أسلم. ولم يعلق على رأي هايدو مما يعطي انطباعا بموافقته فيما ذهب إليه ، انظر : دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ص40 ووافقه في ذلك محمد فريد بك. انظر: تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص 230.

[1] سيد علي مرادي: بحار وشاعر تركي. رافق خير الدين بربروس في العديد من حملاته البحرية في مختلف الجبهات. كما تولى قيادة بعض وحدات الأسطول العثماني الذي أرسله السلطان سليمان القانوني لدعم ملك كوجرات بالهند ألف كتابا مهما دوّن فيه معاركه وانطباعاته م الهند والمعارك التي اشترك فيها ضد البرتغاليين. سماه: مرآة الممالك نشر باللغة الترقية القديمة والحديثة. وبالرغم من أهميته الكبرى بالنسبة لتاريخ المسلمين في الهند وتاريخ الملم العربي وشرق إفريقيا واليمن خلال القرن 16 ، إلا أنني لا أعلم أنه قد تمت ترجمته إلى الله العربية حتى كتابة هذه السطور. وفيما يتعلق بمذكرات خير الدين بربروس فإن له سيد مرادي تكمن بشكل خاص في كونه كاتب مذكرات خير الدين بربروس بإملاء هذا الان ولأجل ذلك، فإن من نظر إلى عملي المذكرات اعتبرها من تأليف خير الدين بربروس، ومن العام إلى كاتبها اعتبرها من تأليف سيد علي مرادي. كما أن لسيد علي مرادي أهمية أخرى، تمال ال كونه قام بنظم مذكرات خير الدين بربروس؛ مضيفا إليها الأحداث التي وقعت في الدين بربروس أو بعد وفاته، ولم يرد ذكرها في النص الأصلي للمذكرات. ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص28.

[2] بالرغم من تصريح خير الدين باسم والده وأصله، إلا أن الكثير من المؤرخين والباحثين قديما وحديثا أثاروا جدلا كبيرا ،حوله، كما أثاروه حول أصل وفصل خير الدين وبقية اخونه فقد زعم المزاري بأن والدهم يدعى حسن انظر: المزاري، طلوع سعد السعود: 1/281. بينما لم يتردد الباحث الجزائري أحمد بن أشنهو في وصف يعقوب آغا أن يكون مها أو يهوديا نظرا لأن ثلاثة من آل بربروس يحملون أسماء أنبياء بني. إسرائيل: يعقوب بن يوسف إسحاق إلياس !! انظر بن أشنهو دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، ص 38، ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص29.

عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي أمر الأتراك بالاستيطان في الجزيرة ، فكان ابي احد المستوطنين الأوائل، وابنا لاحد فرسان السباهية[1]Sipahi ويذكر خير الدين في مذكراته أن أبله تزوج أمه وهي إحدى بنات الجزيرة، وأنجبت على الترتيب: إسحاق، عروج، خضر، ثم إلياس[2]

وقد اختلف المؤرخون في أصل والدة الإخوة فمنهم من يعتبرها مسيحية، من بينهم المجهول في "كتابه سيرة المجاهد خير الدين بربروس" حيث يقول: " تزوج يعقوب من امرأة مسيحية "كاترين" من مدينة Bonova وكانت أرملة لأحد القساوسة وقد أنجبت أربعة أولاد ... إن الإخوة نشئوا في كنف أسرة مسيحية ومن أم كانت زوجة أحد رجال الدين المسيحي ومن أب مرتد حديث العهد بالإسلام، وفي محيط معاد لكل ما هو إسلامي "ويتضح بهذا الكلام أن الإخوة عاشوا في مجتمع مسيحي، ذلك تربوا تربية إسلامية صحيحة حيث يتبعون تعاليم الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الجهاد ضد الكفار المسيحيين[3]،وقد وافق المجهول في هذا الرأي ابن اشنهو حيث يقول : "كان يعقوب خزافا ثم انخرط في الجيش العثماني المرابط في جزيرة ميديلي... وقد تزوج ببنت مسيحية "كاطالينة" ويقال أنها كانت أرملة راهب ....[4] وقد اختلف عنهم في هذا الرأي أحمد توفيق المدني إذ يرجع أن أصل أمهم مسلمة من أصل أندلسي، أما أبوهم فهو من بقايا الفاتحين المجاهدين اسمه يعقوب بن يوسف وقد أكد المدني أن والد الإخوة تركي مسلم وأن أبناءه أنشئوا نشأة إسلامية صلبة وترعرعوا في أسرة مجاهدة[5].

---

[1] السباهية: مصطلح يطلق على الفرسان الذين كانت تقوم الدولة العثمانية بتجنيدهم مقابل استفادتهم من أراضي الإقطاع التي كانت تمنح لهم، مع التزامهم بتحمل نفقات الحرب المكلفين بها. ينظر : كرطالي أمين: الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنيين(9-10هـ / 15-16م)، شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2013-2014، ص 170، خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 31.

[2] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص31.

[3] مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس تح، تق، تع: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر،2009، ص 6.

[4] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش، الجزائر، 1972،ص 39.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص156.

ويوافق المدني في هذا علي محمد الصلابي، حيث يذكر أن أمهم سيدة مسلمة أندلسية كان لها الأثر على أولادها في تحويل نشاطهما نحو الحوض الغربي للمتوسط.[1]

ثانيا: عروج أسير لدى النصارى في جزيرة رودس .

وفيما يخص وقوع عروج في الاسر على يد الكفار كتب خير الدين بربروس في ذلك كما يلي:

في إحدى سفرات عروج البحرية[2] قامت سفن فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس بهجوم على سفينة عروج قتل على إثره أخوه إلياس بينما وقع عروج أسيرا لديهم لم يتمكن أخي عروج من الوصول إلى طرابلس الشام، فقد صادف في مار يقه سفن فرسان جزيرة رودس RODUS [3]واشتبك معهم في معركة كبيرة سقط على إثرها أخي إلياس شهيدا، بينما استولى الكفار على السفن وأخذوا عروج أسيرا بسفينته إلى رودس مقيدا بالسلاسل.

عندما وصل الخبر إلى ميديلي حزنت وبكيت عليه كثيرا، لكنني شرعت الحال أبحث عن سبيل لإنقاذ أخي.[4]

كان لي صديق كافر يدعى غريغو KRIGO يقوم بالتجارة مع جزيرة رودس أخذته معي في سفينتي وقدمت به إلى بودروم BODRUM[5] وقلت له:

---

[1] الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية ،عوامل النهوض كأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط 1 ، بورسعيد، 2001، ص 206.

[2] يذكر هايدو أن جرأة عروج وكفاءته جعلت أصحاب السفن التجارية يطلبون خدماته، كما أنه منذ شبابه كان يبحث عن قبطان يعمل رفقته، ينظر: Haedo Fray Diego De, Histoire de rois d'alger traduite et annotée par h.d de grammont Adolph joudan, Paris, 1881.,p4

[3] رودس جزيرة تقع في بحر إيجة. اتخذها فرسان القديس يوحنا قاعدة لهم يغيرون منها على السواحل والسفن الإسلامية إلى أن فتحها السلطان سليمان القانوني سنة 1522، ليستقروا بعد ذلك في جزيرة مالطا. خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص33.

[4] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص33.

[5] بودروم : بودروم (بالتركية: Bodrum) مدينة تركية سياحية مهمة وميناء وهي تقع في «شبه جزيرة بودروم» على ساحل البحر الأبيض المتوسط في محافظة موغلا، في ساحل الفيروز الريفيرا التركية على الساحل الجنوبي لتركيا في منطقة بحر إيجة جنوب غرب تركيا، في نقطة الدخول إلى «خليج غوكوفا» (بالتركية: Gökova Körfezi)، وهي أيضًا مركز المديرية التي تحمل نفس الاسم. كانت بودروم مدينة إغريقية تسمى هاليكارناسوس وهي الآن مدينة أثرية قديمة تَقع إلى الجنوب الغربي من إقليم كاريا، ويُعد المؤرخ هيرودوت أحد أبنائها. تشتهر بودروم بوجود ضريح موسولوس فيها، أحد عجائب الدنيا

اليوم تتبين الصداقة خذ هذه الثمانية عشر ألف أقجة[1] AKCE وأعنِّي على إنقاذ أخي. اذهب إلى رودس وانظر الأمور هناك، وسوف أنتظرك في بودروم».

غريغو: «على الرأس والعين».

قال ذلك ثم مضى إلى رودس حيث قابل أخي عروج رئيس هناك وقال له: أخوك خضر يسلّم عليك ويدعو لك كثيرا، وهو في غاية الحزن عليك بسبب وقوعك أسيرا في أيدي الكفار، ولا يكاد يكف عن البكاء عليك ليلا أو نهارا. وقد أرسلني إليك وهو الآن في بودروم ينتظر أخبارا سارة عنك».

عندما سمع عروج ذلك من غريغو بكي من شدة الفرح وقال له: سلّم على أخي خضر، يجب أن لا يعلم أحد سبب قدومك إلى الجزيرة وسنلتقي في أول فرصة تتاح لنا.

كان عروج رئيس[2] يعرف في رودس رجلا مشهورا يدعى سانترلو أوغلو[3] SANTURLUOĞLU، كان يأتي أحيانا لرؤية أخي ويتفقد أحواله، قال له أخي يوما:

إن فرسان رودس لن يبيعونني لأخي ،خضر، لكنهم ربما يبيعونني لك.

"ان هربتني من الجزيرة، فسوف أؤدي لك دينك في المستقبل".

سانترلو أوغلو:

"بكل سرور، إذا باعوك فإنني سأشتريك. لكني إذا طلبت منهم عاشرة فإنهم سيشتبهون في الأمر، فالأفضل أنك عندما تنزل إلى المدينة ذات ومظاهر بمرورك على

السبع القديمة. ويوجد بها قلعة بودروم التي بناها فرسان الإسبتارية الصليبيين في القرن 15م، وتم العمل فيها بعد 100 عام، وهي أكمل قلعة موجودة حالياً في شرق البحر الأبيض المتوسط، وتطل القلعة على ميناء ومرسى بودروم. تضم القلعة متحفًا لآثار تحت الماء وتستضيف العديد من المهرجانات الثقافية على مدار العام وتعد قلعة بودروم اليوم ثاني أكبر متحف للآثار تحت الماء في العالم. كانت بودروم هي آخر معقل للصليبيين فتحه العثمانيون في الأناضول، وبالرغم من أن المدينة حوصرت زمان السلطان محمد الفاتح إلا أنا فُتحت في عهد ابن حفيده، السلطان سليمان القانوني أثناء فتح جزيرة رودس.

[1] أقجة: عملة فضية عثمانية يقابلها الدرهم في ذلك العصر، ينظر، خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص33.

[2] لقب رئيس" يطلقه الأتراك على قائد السفينة غير أنه مع مرور الزمن صار يطلق هذا اللقب على كل من يعمل في البحر، بصرف النظر عن رتبته ودرجته في السلم الوظيفي المدني أو العسكري".

[3] لم أقف على ترجمته، ولعله يقصد بالشهرة: أن المذكور كان مشهورا بين فرسان جزيرة رودس في ذلك الوقت ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص 34.

دكاني، وإيّاك أن تنظر إلى الدكان مباشرة لئلا يعلموا ان أعرفك. سأتظاهر بأني أراك صدفة عندما تكون ماراً وأعبر لهم عن امتحان بك، وإنّي لأرجو أن يبيعك الفرسان لي".

سمع عروج هذه الكلمات سُرّ كما لو صار طليقا، كم كانت حياة الأمر اليمة بالنسبة له.

في أحد الأيام كان سانترلو أوغلو جالسا أمام الدكان يتبادل أطراف الحديث فرسان جزيرة رودس وإذا به يرى عروجا رئيس مارا أمام اله كان كأنه يريد الذهاب إلى الخدمة فقال لمن معه من البحارة:

"من هذا الأسير الذي يغدو ويروح أراه دائما يمر من هنا يخدم بحيوية ونقاط لو يقبل صاحبه بيعه لاشتريته "عندئذ قال أحد القباطنة:

"أنا صاحبه، إذا تريد شراءه أبيعه لك؟".

كم تريد؟"

أريد ألف دينار.

"هذا مبلغ كبير".[1]

"حسنا أتركه لك بثمانمائة".

وقبل أن تتم عملية البيع أُلغيت الصفقة. لأن فرسان رودس قد بلغهم

أن عروجا تاجر معروف. وقالوا لبعضهم:

"إن أخاه خضر رئيس في بودروم، وهو مستعد لدفع عشرة آلاف دينار وأسير قيمته عشرة آلاف هل يعقل أن يباع بثمانمائة.

أعادوا لسانتورلو أوغلو ماله واستعادوا عروج. لقد علموا قيمته الحقيقية من غريغو، الذي كان قد احتال عليَّ في الثمانية عشر ألف التي دفعتها له وأعلم الفرسان باستعدادي لإنقاذ عروج.

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص35.

وعلى إثر هذه الحادثة ألقى الرودسيون عروج في زنزانة تحت الأرض لكي لا أجد أية حيلة تمكنني من إنقاذه. وجعلوا يعذبونه أكثر من ذي قبل ووضعوا الأغلال في يديه ورجليه وعنقه إلا أنهم كانوا يعطونه من الطعام ما يسد به الرمق.

لم يتمكن عروج من تحمّل هذا العناء كثيرا فطلب مقابلة ضابط الزنزانه التي حبس فيها فأذن له في ذلك وعندما خرج سأله الضابط :

«لماذا جئت؟ » .

"ما الذي تريدونه من وراء هذا الإيذاء الذي تلحقونه بي؟"

اعلم أيها التركي: كيف تحاول إنقاذ نفسك بدفع ثمانمائة دينار ؟ إن أخالك الدين رئيس ينتظر إنقاذك بمال الدنيا في بودروم، فهل تظن أنه لا علم لنا

"بذلك أم تظن أننا حمقى؟"

"كم تريدون أن أدفع لكم لإطلاق سراحي ؟؟"[1]

"و أنت كم تدفع؟ كم تقدر نفسك؟"

"أنا أقدر نفسي بجميع محصول الروملي[2] من الشعير وجميع المصاريف اليومية التي تدفع في الأناضول، بالإضافة إلى مائة ألف دينار أدفعها لكم!!!".

"أيها المجنون استمر في سخريتك، سوف ترى كيف تكون عاقبتك"

بعد هذه المحاورة أمر الضابط الحانق رئيس السجانين بمعاملة عروج اما ما كان يعامله من قبل، فانزعج عرّوج كثيرا من هذا الوضع. وفي إحدى القال كان يبكي ويدعو في زنزانته وحيدا :

"يا رب أنت الذي تَهَب الفرَج للعاجزين، فأغث عبدك الضعيف بجاه حبيبك "عليه الصلاة والسلام " وعجّل إنقاذي من ظلم هؤلاء الكافرين"

---

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص36.

[2] كانت الدولة العثمانية منذ تأسيسها مقسمة إلى إقليمين كبيرين: الأول: الروملي، ويقصد به الأراضي العثمانية الواقعة في الشطر الأوربي من الدولة العلمانية، وكان يشمل معظم أوربا الشرقية وجزر شرق البحر المتوسط. والثاني: إقليم الأناضول، ويشمل الأراضي العثمانية الواقعة في آسيا. ينظر: خير الدين ربروس، المصدر السابق ، ص37.

قضى عروج تلك الليلة يدعو في ذِلَّةٍ وانكسار حتى سقط في الحمأة وغلبه النوم من شدة التعب، فرأى في منامه شيخا مشرق الوجه يقول له: يا عروج: لا تحزن بسبب ما أصابك من الأذى في سبيل الإسلام فإن خلاصك قريب."[1]

استيقظ عروج في غاية السرور لهذه الرؤيا وقد تلاشت همومه وانشرح صاره وفي ذلك الصباح اجتمع كل قباطنة رودس وجعلوا يتشاورون في أمر فقال أحدهم:

إن أعمال البحر ليست ثابتة، اليوم عروج وغدا نحن أرى أن الاستمراد في إيذاء هذا التركي ليس صوابا».

وعلى هذا فقد قرروا إخراج عرّوج من الزنزانة، وتقييده في إحدى السفر حيث صار أسيرا جدافا بها، ومع هذا فقد كان يقول:

«إنّ العمل في الجدف على سطح البحر نعمة بالنسبة لمن رأى الأذى تحت الأرض، يارب لك الحمد، فقد رأيت وجه العالم».[2]

ثالثا: فرار عروج من الأسر.

يذكر خير الدين في مذكرته أنه كان اسير كبافي الأسرى جدافا في سفن المسيحيين، كما قد عرض عليه أن يعتنق المسيحية مقابل أن يفك أسره غير أنه رفض ذلك[3]، ولم تفد محاولات خير الدين في إفتدائه فبقي في الأسر إلى أن تمكن من الفرار حينما كانت سفن محتجزيه بالقرب من أنطاليا إحدى مدن جنوب الساحل التركي وكان ذلك حوالى سنة 1506م.

[1] خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص38.

[3] – أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر ، عدنان محمود سليمان، ط 1 ، مؤسسة فسصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988، ج 1، ص 242.

في تلك الفترة كان الأمير قرقود[1] KORKUT واليا على أنطاليا [2]ANTALYA، وكان قد تعوّد على أن يشتري في كل سنة مائة أسير تركي فرسان جزيرة رودس ويعتقهم في سبيل الله. وفي تلك السنة أرسل حاجبه رودس لفداء الأسرى، فقام الرودسيون بفرزهم وتسليمهم إليه. وكانت الانسانية تقضي بأن يُحمل الأسرى في سفينة رودسية إلى سواحل أنطاليا، فمن القدير الله تعالى أن يقع الاختيار على السفينة التي كان عروج مقيدا بها لنقل الأسرى، ونظرا لقيمة عرّوج فإن الرودسيين لم يجعلوه ضمن المائة أسير الذين م الإفراج عنهم.

كان عروج رئيس رجلا خفيف المزاج يتكلّم الكثير من اللغات لا سيما الرومية التي كان يتقنها بشكل لا مثيل له[3]، وكثيرا ما كان يتبادل أطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين الذين يجيئون إلى سفينته. وذات يوم قال القباطنة لعرّوج:

«أيها التركي أنت رجل حلو الحديث، خصوصا بلساننا الذي جيدا. ما الذي وجدته في الإسلام؟ تعال ادخل في ديننا وسوف يكون لك شأن كبير بيننا !!».

فأجابهم عروج قائلا :

"أيها المجانين: كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي أفضل من النبي محمد " صلى الله عليه وسلم لأؤمن به؟"

---

[1] الأمير قرقود: الابن الثالث للسلطان بايزيد الثاني والأخ الأكبر للسلطان سليم الأوّل، تعرض للقتل من طرف السلطان سليم الأول بعد سيطرته على العرش سنة 918هـ / 1512م. لمزيد من التفاصيل عن ظروف مقتل الشهزادة قرقود انظار محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر (1512 (1543)، شركة الأصالة، الجزائر 2012، ص 12 – 13 وانظر أيضا: Ahmet Akgündüz ve Said Öztürk, Bilinmeyen Osmanlı, İstanbul, s.133. ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص39.

[2] أنطاليا: مدينة سياحية تطل على ساحل البحر المتوسط جنوب تركيا. أنطالية أو انطاليا المعروفة سابقا باسم أداليا أو أتاليا ، من اليونانية البامفيلية : أطّاليا Αττάλεια هي مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في جنوب غرب تركيا، وهي عاصمة مقاطعة أنطاليا. تقع على منحدرات ساحلية، ومحاطة بالجبال..

[3] لعلّ ذلك لأن أمه كانت رومية حسبما صرح خير الدين في بداية المذكرات، ومن الطبيعي أن يتقن لغة أمه التي كانت تحدّثه بها. كما أنه من المعلوم أن الإخوة بربروس أمضوا طفولتهم في واردار ومعظم سكانها يومئذ من الأهالي الروم. وعليه فإن إتقان عروج وغيره من إخوته للغة الرومية لا يعد أمرا خارقا في مثل هذه الظروف.، ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص40.

"إذن لتبق على حالك، وننظر كيف يخلصك نبيك من أيدينا والآن لتستمر في الجدف"...[1]

حيث كانت هذه اهم ماجاء في مذكرة خير الدين بربروس حول عائلته واسره لأخيه عروج وفراره من رودس.

رابعا: عروج في مصر .

جاء في مذكرات خير الدين بربروس، عن الطريق والكيفية التي هرب منها عروج من السر ليتجه بعدها الى مصر والاستقرار هناك حيث جتء في المذكرة مايلي:

بعد هروب عروج من الاسر ليتعرف بعدها على أحد التجار البحارة يدعى علي ريس يشتغل بين أنطاليا و الإسكندرية[2]، وبعد إستقراره في الإسكندرية دخل عروج في خدمة سلطان مصر قانصوه الغوري[3] و أسندت إليه مهمة رئاسة السفن التجارية.

حيث يسرد خير الدين في مذكرته عن تواجد عروج في مصر بقوله: سمع سلطان مصر بشهرة أخي فدعاه للقدوم عليه، وعندما مثل بين يديه عليه الدخول في خدمته ذلك لأنّ السلطان كان يريد أن يبعث بأسطول الى سواحل الهند[4].

وإذ وافق عرّوج على عرض السلطان فإن هذا الأخير قد عينه قائدا للأسطول.

---

[1] ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص40.

[2] المصدر نفسه ، ص43.

[3] سلطان مصر المقصود هنا هو قانصو الغوري Kansu Gari آخر سلاطين المماليك الذين كانوا يحكمون مصر والشام ويبسطون نفوذهم على شبه جزيرة العرب. قتل في معركة مرج طابق شمالي حلب سنة 1516 والتي كانت بداية نهاية الدولة المملوكية. عن ظروف مقتل السلطان المملوكي وما ترتب عن تلك المعركة من نتائج انظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 18 دراج، الدخول العثماني، ص 19 – 22؛ وانظر أيضا:Uzunçarşılı 4/288-290. ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص43.

[4] هذه الفترة كان البرتغاليون قد تمكنوا من اكتشاف الطريق إلى الهند عن طريق الالتفاف حول إفريقيا وجعل القراصنة البرتغاليون يغيرون على السفن الإسلامية المحملة بالبضائع القادمة من الهند إضافة إلى ذلك؛ كانوا يعترضون سفن الحجّاج ويستولون عليها بعد قتل من عليها أو يعهم رقيقا. ولم يكتفوا بذلك؛ بل راحوا يعتدون على السواحل الإسلامية في الهند وشرق افريقيا المطلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر. فشكلوا بذلك خطراً عظيما على الملاحة الإسلامية ومن الطبيعي أن تدفع هذه التطورات السلطان المملوكي أن يسعى إلى بناء أسطول قادر على حماية السواحل الإسلامية هناك، ويبحث عن قائد كفؤ ليجعله قائدا الأسطول الدولة المملوكية. فكان اختياره لعروج يندرج في هذا السياق. ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص43.

مرسوما ملكيا إلى والي أضنة ADANA[1] أمره فيه بأن وصل إلى ميناء باياس PAYAS بخليج الإسكندرون[2] ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية من الأخشاب فأعدّ والي أضنة الأخشاب المطلوبة وأرسلها إلى ميناء باياس، فخرج عروج في ست عشرة سفينة إلى باياس لأخذ الأخشاب على أن يتجه بعدها إلى مصر.

علم الرودسيون بأن عروج قد صار قائدا لأسطول سلطان مصر . يترقبون الفرصة للقضاء عليه، وعندما بلغهم مجيؤه إلى باياس قاموا بالإغارة عليه سفنه إلى بأسطول كبير. أدرك عروج رئيس خطورة موقفه فقام بسحب جميع البر. وانسحب ببحارته إلى داخل الأراضي العثمانية، حيث صرفهم إلى بلدانهم، بينما عاد هو إلى أنطاليا، وهناك أمر بصناعة سفينة ذات ثمانية عشر مقعدا أغار بها على سواحل رودس، ولم يعط الكافرين فرصة لالتقاط أنفاسهم.

قال الأستاذ الأعظم:[3]

" لقد ظهر قرصان يدعى عروج رئيس يملك سفينة ذات ثمانية عشر مقعدا لا يكاد ينجو منه أحد. إنه يقوم بالاستيلاء على أموالنا وإحراق بلادنا، وكثيرا ما يأسر أطفالنا ويأخذهم إلى طرابلس الشام حيث يبيعهم في أسواقها، حتى صرنا لا نقدر على ركوب البحر خوفا من شره. لقد كنت حذرتكم وقلت لكم لا تخرجوا هذا التركي من الزنزانة من تحت الأرض، لكنكم لم تسمعوا قولي فأخرجتموه وجعلتموه جدافا في السفينة هيا اذهبوا وتخلصوا منه بسرعة"

انطلق الرودسيون خلف عرّوج في خمس أو ست قطع بحرية وراحو يبحثون عنه في كل مكان وأخيرا عثروا على سفينته راسية في أحد المراسي قاموا بإحراقها، إلا أن أخي تمكن من النجاة بمن معه من البحارة وعاد إلى انطاليا".

---

[1] مدينة أضنة: إحدى المدن الكبرى في جنوب تركيا اليوم.

[2] مدينة الإسكندورن: مدينة تركية تقع جنوب تركيا اليوم، تطل على البحر المتوسط. خليج باياس الوارد في المذكرات بخليج الإسكندرون أيضا.

[3] الأستاذ الأعظم: لقب كان يطلق على رئيس دولة رودس في ذلك العصر. انظر: تعليق الأستاذ يلماز أوزتونا على هامش النسخة التركية ، المذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص 44.

أخذت سفينة عروج إلى ميناء رودس وشُهر بها على رؤوس الخلائق، إلا أنّ علم لكن الفرسان من أسره واقتياده إلى رودس أثار سخط الأستاذ الأعظم الذي صرخ فيهم قائلا:

العم هذه السفينة لعرّوج، لكنه ليس موجودا فيها» !!.[1]

في الوقت الذي رجع فيه عرّوج إلى أنطاليا كان الأمير قرقود ابن السلطان بايزيد الثاني قد غادر تكة TEKE بأنطاليا، وتوجه إلى صاروخان[2]SARUITAN التي عُيّن واليا عليها. وكان للأمير قورقود خازن يقال له : باي PİYALE BEY، وهذا الأخير كان عروج قد أهدى إليه غلاما افر كما كانت تربطهما صداقة حميمة. وعندما وقع عروج في هذه الظروف الصعبة وبقي بدون سفينة قام بيالة باي يذكر ذلك لسيده الأمير اور قوة فقال له :

ان عروج رئيس عبد من عبيدكم المجاهدين، وهو يقوم بمجاهدة الكفارليلا نهارا لقد انتصر عليهم في معارك كثيرة، غير أنه فقد سفينته وهو يرغب في أن تفضلوا عليه بسفينة يغزو عليها».

و قد كانت حينئذ الحرب البحرية في أوجها بين المسلمين و المسيحيين- فاضطر عروج إلى الفرار من غارة جنود رودوس بينما استولى المغيرون على سفنه[3] لجأ عروج إلى أنطاليا و هناك طلب من السلطان قرقود إبن السلطان بايزيد الثاني بوساطة من خازنه بيالة باي أن يمده بسفينة من أجل الغزو البحري فأمر له قرقود بسفينة و زاده الخازن سفينة أخرى ليستأنف عروج غزوه البحري[4]، ويذكرهنا يلماز أوزتونا Yilmaz Oztuna أن السلطان قرقود

---

[1] ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص45.

[2] صاروخان: إحدى إمارات الحدود الواقعة في غرب الأناضول. كانت تابعة للدولة اللصوفية، أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى مؤسسها صاروخان باي تم إلحاقها بالدولة العليانية، لم أصبحت مع مرور الوقت تابعة للواء مغنيسا، ينظر خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص45.

[3] المصدر نفسه ، ص45.

[4] كانت الحروب والغارات البحرية متبادلة بين المسحيين الايطاليين والمسلمين العثمانيين في شرق المتوسط، وإن غزوات عروج المتعددة ضد الجنويين والامارات الايطالية كانت بدافع الانتقام على اعتداءاتهم ضد عائلته ومسلمي جزيرته ، ينظر ، Belachemi,op-cit,p16

سأل عروج عن عدم ذهابه إلى غرب البحر المتوسط حيث المسيحيين يستولون على المسلمين و أوصاه بالذهاب إلى هناك و أن يحدو حدو كمال ريس[1].

كان الأمير قورقود قد بلغته شهرة عروج، ولأجل ذلك أبدى استعداده لتحقيق رغبة عروج بسرور وعليه فدعاه للمثول بين يديه. وعندما جاءه احتفى به وقال له مُسَلِّيا:

لا تأس فإني لن أدعك بدون سفينة، ثم لم يلبث أن كتب إلى قاضي إزمير كتابا يقول له فيه إذا بلغك كتابي هذا، عليك أن تأمر بصنع سفينة من نوع قاليتة[2]KALITE دون تأخير حسب رغبة ولدي عرّوج، وذلك ليتمكن من مجاهدة الكفار عليها. كما قام بيالة باي بكتابة أمر إلى رئيس الجمارك بإزمير جاء فيه:

إنّ عروجا أخونا في الدنيا والآخرة فلا تحرمه من عونك عليك أن تأمر "بصنع سفينة ذات اثنين وعشرين مقعدا وأن تقوم بالإشراف عليها بنفسك. كما يجب عليك أن تقوم بتسليمها إلى عروج في أقرب وقت ممكن، وأن تكتب جميع مصاريف تجهيز السفينة في حساب سيدي الأمير قورقود".

جاء عروج إلى إزمير فسلمت له السفينتان في الموعد المحدد: إحداهما تلك التي كان قد أهداها له الأمير قورقود وأما الثانية فكانت ملكا لبيالة باي قد وضعها هذا الأخير تحت تصرف عروج.[3]

---

[1] كمال ريس:بحار تركي دخل في خدمة السلطان بايزيد الثاني سنة 1494م، انتقل إلى غرب البحر المتوسط رفقة بعض البحارة لنجدة مسلمي الأندلس توفي سنة 1511م، إلتحق معظم بحارته بعروج وخير الدين، ينظر : خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص46.

[2] قاليتة : إحدى السفن الحربية التي كانت مستعملة قبل اختراع السفن البخارية تحتوي على 20-25 مقعدا. تستعمل على وجه الخصوص لمطاردة سفن العدو. انظر: ekalın, Osmanlı Tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü.c. II.s.151

[3] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص46.

قام عرّوج بتجهيز السفينتين وجمع بحارته وانطلق إلى فوجا[1] بهم FO. كانت سفينة عرّوج ذات أربعة وعشرين مقعدا وأما سفينة بيالة باني فقد كانت ذات اثنين وعشرين مقعدا. لقد تم صنع هاتين السفينتين خلال ثلاثة أشهر ونصف.

عروج السفينتين وجمع بحارته وانطلق بهم إلى ميناء فوجا – مثلما الإشارة ومن هناك توجّه إلى مانيسا MANISA، حيث نزل في امر باله ،باي فمكث عنده ضيفا ثلاثة أيام قبل أن يمضي للمثول بين يدي الأمير قورقود، فبالغ الأمير في الثناء عليه والدعاء له بالنصر في غزواته.

وقع عروج الأمير قورقود وبيالة باي في مانيسا، ثم عاد إلى فوجا، فأمضى تلك الليلة مستغرقا في الدعاء والعبادة. وفي الصباح الباكر من اليوم التالي أقلع بسفته، فلقي بعد بضعة أيام من خروجه سفينتين من سفن البندقية[2]VENEDIK في عرض البحر، فاستولى عليهما. كان في السفينتين أربعة وعشرون ألف دينار، فأُخِذَت هذه الأموال وغيرها غنيمة. لقد صار البحارة اغي بذلك المال. كيف لا يستغنون وقد حازوا دعاء ابن عثمان الأمير
قورقود. إن من فاز بدعاء السلطان تكون عاقبته خيرا ومن دعا عليه السلطان فإنه يظل غارقا في بحر المصائب لا يخرج منها.

خاض عروج هذه المعركة في سواحل بوليا [3]PULYA ، ومن هناك تو إلى سواحل الروم فصادف في عرض مياه جزيرة أغريبوز [4]GRIBOZ ثلاث سفن أخرى تابعة للبندقية.

---

[1] فوجا: مدينة تقع في البوسنة عند تقاطع نهر جيونا مع نهر درينا. كانت خاضعة للإدارة العلية منذ سنة 1465 . كانت مركزا للإدارة العثمانية بالبوسنة حتى نهاية القرن 16.

[2] البندقية وتعرف أيضا باسم: " فينيسيا" إحدى الجمهوريات الإيطالية التي لعبت دورا تجاريا بما فى البحر المتوسط منذ القرن العاشر الميلادي. انضمت إلى النمسا سنة 1797، لم ألحقت إلى مملكة نابولي بإيطاليا سنة 1805 ، لتعود مرة أخرى إلى النمسا سنة 1814، واستمرت خاضعة للنمسا حتى الحرب البروسية – النمساوية سنة 1866، حيث أضيفت على ذلك إلى إيطاليا.

[3] يسمي الأتراك ولاية «أبوليا» التي تقع جنوب شرق إيطاليا: «بوليا». انظر تعليق يلماز أوز تونا على المذكرات. ص 19 ، ينظر : خير الدبن بربروس، المصدر السابق ، ص48.

[4] كانت جزيرة أغريبوز خاضعة للدولة العثمانية في هذه الفترة وهي اليوم تدخل في الأراضي اليونانية. تقع جنوب شرق اليونان على ساحل بحر إيجة. ينظر : خير الدبن بربروس، المصدر نفسه ، ص48.

عندما رأى كفار البندقية سفن عروج رئيس شرعوا في إطلاق قذائفهم عليه ، فشرع عروج بتشجيع بحارته بعبارات حماس دفعتهم إلى الإقدام على مهاجمة السفن التي كانت قد حوّلت البحر إلى جح بقذائف مدافعها.

اقتربت السفن من بعضها البعض، فقفز البحارة إلى سفن الكفر واستولوا عليها بعدما أخذوا مائتين وخمسة وثمانين أسيرا وقتلوا ما وعشرين من بحارتها.

نقلت الأموال التي كانت في السفن إلى سفن عروج رئيس. فكان السفن تبدو كالسلحفاة من ثقل الغنائم التي كانت تحملها؛ فقدموا بها إل ميديلي في احتفال كبير. استقبلت أنا وأخي إسحاق عروج في الميناء رفقة جميع أقاربنا، فسلّمنا على بعضنا البعض وتعانقنا بحرارة وشوق كبيرين ذلك لأنه كانت قد مضى سنوات طويلة على مغادرة عروج ريس لميديلي.

قرر أخي عروج مغادرة ميديلي إلى إزمير لمقابلة ولي نعمته الأمير قورقود واعه بالة باي. وفي هذه الأثناء بلغنا خبر جلوس السلطان سليم خان على السلطنة، ومعاداته لأخيه الأمير قورقود الذي فر من شدة الخوف.

حزن أخي عروج كثيرا لهذا الخبر ، فقال له أخي الأكبر إسحاق:

"يجب أن تعجل بالخروج من هنا وتقضي هذا الشتاء في الإسكندرية، ثم ننظر ما الذي يحدث؟ إن السفينة التي لديك من إحسان الأمير قورقود، فقد ك من ذلك ضرر".[1]

وقبل أن يبقى لأخي عروج وقت الإطفاء حرارة الشوق ودّع كل منا الأمر وغادر ميديلي. فاستولى في سواحل جزيرة كربة KERPE على سفن العدو مضى بها إلى الإسكندرية".

عندما وصل إلى هناك علم السلطان ، بوصوله مع يحيى رئيس بسبع سفن مشحونة الغنائم كان عروج رئيس في غاية الحرج من سلطانة مصر بسب فقدانه السفن التي منحها له، وذلك عندما استولى عليها الرودسيون حينما اغاروا عليه في باياس، ولكي يفوز بعفو السلطان

[1] ينظر : خير الدبن بربروس، المصدر السابق ، ص49.

فقد خَصَّ هذا الأخير بعدد من السفن من أموال الغنائم. كما اختار أربع جواري وأربعة غلمان وقدمها له. ول الاممان بذلك كثيرا وأحسن ضيافته هو ورفاقه ثم قال له:

" ان الله عفو يحب العفو لقد عفوت عنك يا قبطان عروج. حقيقة لقد نركت ستة عشر مركبا تحترق لكنك لم تدع أحدا من البحارة الذين كانوا فيها يصابون بأذى فأنقذتهم جميعا ولم تترك أحدا منهم يقع في الأسر. فأنا لم آسف لاحتراق سفني إذ الأيام دول، وكل شيء يمكن أن يحدث، وإنما أسفت لعدم مجيئك إلي لقد عفوت عنك وأشكرك إذ أخذت بخاطري من جديد».[1]

قال ذلك وبالغ في إكرام أخي وكافأه بأكثر من الهدايا التي أتحفه بها.

استأذن أخي وعاد من القاهرة إلى الإسكندرية. وكان السلطان قد كتب أمرا إلى واليه بالإسكندرية يأمره فيه بإكرام أخي ورفاقه، فقام الوالي بإكرامه وحسن ضيافتهم، مما مكن أخي من قضاء وقت ممتع هناك.

خامسا: عروج في تونس.

تواصلت كتابة المذكرات حيث ذكر خير الدين بربروس كيف اتجاه اخاه عروج الى تونس واستقر به الحال في جربة حيث ذكر ذلك مايلي :

لقوله :

حل الربيع فكتب أخي إلى السلطان يستأذنه في الخروج للغزو فأذن بذلك، فركب البحر متوجها إلى سواحل قبرص حيث استولى على خمس مراكب تابعة للبندقية، ومن هناك توجه نحو الغرب فوصل إلى جزيرة جربة بتونس حيث : باع غنائمه لتجار الجزيرة، فكان نصيب كل بحار خمسة وعشرين ذراعا م جوخ[2] البندقية وأربع بنادق وأربعة مسدسات ومائة وواحد وسبعين دينار ونصف.

[1] ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص49.

[2] الجوخ: نوع من أنواع الأقمشة المنسوجة من الصوف، ينظر: خير الدبن بربروس، المصدر السابق ، ص50.

وجد عروج سفينة ذاهبة إلى الإسكندرية فبعث فيها إلى سلطان مصر أنواع الجوخ والبنادق والمسدسات بالإضافة إلى غلام في الثالثة أو الرابعة عش من عمره فقال السلطان لما وصلته تلك الهدايا.

" إذا كان في هذه الدنيا أحد يرعى حق النعمة ويعرف الفضل لأهله فيه ولدي القبطان عروج."

دعا السلطان لأخي كثيرا وتوثقت أواصر المودة بينهما، وأما أخي استمر في اقتناص سفن الأعداء في سواحل جربة، حيث غنم في الغزوات ما بين خمس أو عشر سفن أخرى.

بعد أن استقر المقام بعروج وخير الدين في جزيرة جربة اشتغلا في ملاحقة سفن المسحيين في البحر وأحرزا عليهم انتصارات كبيرة وغنما أموالا معتبرة؛ فرقوا منها الكثير على فقراء تونس فانتشرت شهرتهما كأكبر رياس البحر في الحوض للبحر المتوسط، وخاصة بعد المعركة البحرية الكبيرة التي وقعت بينهما وبين قطعة بحرية إسبانية استعمل فيها المدافع والبنادق النارية والسهام دامت من الصباح إلى المساء وأبدى فيها خير الدين شجاعة وبأسا كبيرين وأسر بارجة كبيرة مع من بقي فيها حيا وغنم بضائعها، وما إن دخلا بتلك الغنائم على أهل تونس حتى اهتزوا له مع سلطانهم.[1]

وتواصل الحديث في المذكرات على كيفية التواجد في تونس بقول خير الدين :

أذن لنا السلطان بالرّسُو في ميناء حلق الوادي[2] فقضينا الشتاء هناك. وعندما وصل الربيع ركبنا البحر، بخمس قطع بحرية، كانت سفينتي أسرعها. فبلغنا سردينيا SARDUNYA[3] وهناك استولينا على سفينة أحد القراصنة. كان فيها مائة وخمسون أسيرا.

---

[1] أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1756-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص15.

[2] حلق الوادي: لكونها لسانا بحريا يصل تنس بالبحر استمدت اسمها، وتفصله مرتفعات من قرطاج.. للمزيد ينظر: ج. أو ها بنسترايت: رحلة العالم الألماني هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، د.ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، دس، ص114.

[3] سردينيا : جزيرة ايطالية تقع غرب البحر المتوسط. تتمتع بالحكم الذاتي.

وفي هذه الأثناء بدت لنا في الأفق سفينة كأنها جبل كشيش KESIS AGE[1] والعياذ بالله قال لي ذراعي الأيمن دلي محمد MEHEMET الذي كان قبطانا لإحدى سفننا ومعروف بشجاعته:" سيدي القبطان أرجو أن تأذن لي في الذهاب لأستولي على تلك السفينة" ولكي أخذ بخاطر دلي محمد رئيس أذنت له بأن يمضي ليستولي عليها. كانت سفينته تبدو صغيرة جدا أمام سفينة العدو وكأنها غلاف حبة البندق. أما نحن بتعقبنا سفينة علي محمد، وعندما حاذينا السفينة. لم نجد بها أحدا. لقد ركب القراصنة قواربهم ولاذوا بالفرار عندما رأوا سفننا . صعدنا إلى السفينة فوجدناها بالقمح سلمنا على دلي محمد وقلنا له:" غزو مبارك "

وفي الصباح التالي استولينا على سفينتين أخريين: إحداهما كانت مشحونة بالعسل والزيتون والجبن، وأما الأخرى فقد كانت سفينة جنوية[2] محملة بالحديد.

وتواصل ذكر الحديث في المذكرة عن دخول تونس والتواجد فيها حسب خير الدين بربروس بقوله:

"أمضينا الشتاء في تونس أيضا، وعندما حل الربيع خرجنا للغزو، وصلنا خلال ثلاثة عشر يوما إلى ميناء نابولي NAPOLI بجزيرة مورة فصادفنا متوجها إلى إسبانيا، كان فيه ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة مقاتل. رفعنا الذهبية وشرعنا في قصفهم. حاولنا سبع مرات الاقتراب من المركب، وفي المرة السابعة لمكنا من محاذاته، فجرت معركة كبيرة تمكنا على إثرها من الاستيلاء عليه في هذه المعركة فقدنا مائة وخمسين شهيدا وجُرح ستة وثمانون من رفاقنا بعد المعركة، تبين لنا أنه كان في السفينة خمسمائة وخمسة وعشرون شخصا، أسرنا مهم مائة وثلاثا وثمانين، وأما الآخرون فقد تم قتلهم، كان من بين القتلى والى الأعلى المقاطعات الكبيرة بإسبانيا. وبعد ذلك استولينا على سفينة أخرى ثم رسها إلى تونس، حيث تمت معالجة أخي عروج الذي كان قد جرح في إحدى هذه المعارك".[3]

---

[1] جبل كشيش: جبل مشهور في تركيا، يشرف على مدينة بورسة يعرف اليوم بجبل أولوداغ Chahat يضرب به المثل في العلوم ويعتبر اليوم أحد المنتجعات الشتوية المشهورة في تركيا.

[2] تابعة لجمهورية جنوة التي كانت إحدى الجمهوريات الإيطالية في ذلك العصر.

[3] ينظر: خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص57.

هذا وقد كان من بين الغنائم التي حصلنا عليها: سبعون أو ثمانون ببغاء و عشرون بازيا قمنا بإهدائها جميعا إلى سلطان تونس.

أربع سفن صارت أربعة عشر

لم يستمع أخي لقولي بل أعطى أوامره بالشروع في الهجوم على قلعة بجاية كانت تعج بالجنود الإسبان. وفضلا عن ذلك فقد التحق بهم رفاقهم الذين لها من السفن للاحتماء بأسوار القلعة.

شرع أخي في مهاجمة القلعة التي كانت تمطر علينا وابلا من قذائف المدفعية خلال ذلك فقدنا ستين شهيدا وعددا كبيرا من الجرحى. كنا على الاستيلاء على القلعة، غير أنه في الوقت الذي اشتد فيه لهيب المعركة أخي بقذيفة في ذراعه الأيسر.

ما رأى الإسبان ذلك فتحوا أبواب القلعة وقاموا بمهاجمتنا. حزنت الذي كان قد جرح جراحا بليغة، وبسبب حنقي على الإسبان قمت علهم مع ثلاثمائة أو أربعمائة مقاتل من رجالي وأعملنا فيهم السيف ،وتمادينا فب تعقبهم حتى دفعناهم إلى الاحتماء بأبواب القلعة. في هذا الهجوم قتلنا ثلاثمائة إسباني وأسرنا مائة وخمسين منهم.

لم يكن المكوث طويلا أمام القلعة. وأما أخي فقد كان قد فقد وعيه من جراحه، جمعت جنودي وأمرتهم بركوب السفن، بينما استمر الكفار في قصفنا ، إلا أنهم لم يتمكنوا من إصابة أي أحد منها بفضل الله وعنايته ، تمكنا من العودة إلى تونس بأربعة عشر قطعة بحرية.

قام الجراحون بتنظيف جراح أخي عزوج، إلا أن آلامه كانت تتضاعف من يوم لآخر، فاجتمع الجراحون وقالو:" **إذا لم تقطع ذراع أخيك فغن حاله ستكون أكثر خطورة ، وعندئذ لننكون مسؤولين عن ذلك".**[1]

أما أهالي تونس فإنهم فرحوا كثيرا عندما رأونا قد رجعنا بأربعة عشر سفينة بعدما خرجنا في أربع سفن فقط، لكنهم عندما علموا بإصابة أخي عروج أجهشوا بالبكاء حزنا عليه.

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق،ص 59.

قلت للجراحين:"**من يقوم بإنقاذ ذراع عروج فإني سأكافئه بوزنه ذهبا وأهب له عشر أسرى يختارهم من أيهم شاء**"

قطع ذراع أخي عروج

اجتمع الجراحون مرة أخرى للتشاور فلم يتوصلوا إلى حلّ آخر غير قطع قراع امي فأذنت لهم بذلك، فقاموا بقطعها ومعالجة جراح أخي، كنت أبكي بحرقة كبيرة فقال لي:

" لماذا تبكي ؟ هذا قضاء الله وقدره. إني أحمد الله على أني فقدت ذراعي في الغزو، تكفيني هذه النعمة".[1]

اتسعاد اخي عافيته في ذلك الشتاء، وعندما حل الربيع وانتعشت النفوس خرجنا في ثمانية مراكب للغزو فوصلنا إلى سواحل الأندلس حيث كانت المدينة رناطة قد سقطت قريبا بيد الإسبان.

كان الإسبان يقومون بمظالم كبيرة في حق المسلمين الذين كان الكثيرمنهم يعبد الله سرا في مساجد سرية قاموا ببنائها تحت الأرض، لقد دمر الاسبان وأحرقوا المساجد وصاروا كلما عثروا على مسلم صائم أو قائم إلا وعرضوه وأولاده للعذاب والإحراق، خلال ذلك قمنا بحمل عدد كبير في السفن وأنقاذهم من أيدي الكفار، ونقلهم إلى الجزائر وتونس.

وعندما كما في سواحل **المرية ELMERIYYE**[2] لاحت لنا سبع عداها واستولي عليها، وبسبب مخالفة اتجاه الريح لم وقف الأخرى كانت السفينة التي استولينا عليها سفينة هولندية محملة ببضاعة قد جلبت من الهند ومن هناك توجهنا إلى جزيرة **مينورقة MiNORKA**[3] حيث دخلنا إلى خليج صغير. كان قد مضى على خروجنا من تونس خمسون أو ستون يوما.

---

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص61.

[2] المرية : مدينة إسلامية أسسها المسلمون في الأندلس، تقع اليوم في جنول شرق اسبانبا،خير الدين بربروس، المصدر نفسه، ص61.

[3] مينورقة: جزيرة اسبانية تقع غرب المتوسط، نعنبر ثاني جزر الباليار من حيث المساحة، خير الدين بربروس ، المصدر السابق، ص62.

توغلنا في جزيرة مينورقة فصادفنا ما يقارب مائتي مقاتل مدجج بالسلاح جالسين على ضفاف أحد الأنهار كانوا يشوون خروفا ويعاقرون الخمر وقد غاب أكثرهم عن وعيه، قتلنا سبعين أو ثمانين كافرا منهم واستولينا على خمسة أو ستة قطعان من الأغنام، وأحضر قائدهم إلي فسألته عن وجهتهم التي كانو يقصدونها فقال:

"سيدي لقد علمنا برسوكم في مينورقة وقد توجهت إليكم عشر سفن إسبان من نوع قادرغة. كان من المقرر أن تقوم بمهاجمتكم من البحر، بينما نقوم بالهجوم عليكم من البر".[1]

لما علمت بذلك قمت بتوثيق الأسرى وتفريقهم على السفن مثنى مثنى انطلقنا من مينورقة متجهين إلى جنوة، فاستولينا على أربع مراكب صادفناها طريقنا. لقد كان من أثر تلك الحملات أن شاع أمرنا في جميع أنحاء له الكفار وصرنا أسطورة في نظرهم.

أغرنا على جزيرة **كورسيكا KORSIKA**[2]، ثم توجهت مع اخي الى جزيرة ميديلي في سبع قطع بحرية.

كانت إستراتيجية الاستقرار في تونس أحد أهم الأولويات التي عمل على تحقيقها الأخوين بربروس. ذلك أن وجودهما سيسهل لهم التحرك بشكل كبير في مراقبة الأنشطة الإسبانية من ناحية، وكذلك التحرك بأريحية في المناطق الساحلية الممتدة على منطقة شمال إفريقيا، وسهولة التواصل مع مركز العاصمة العثمانية إستانبول، وبالفعل نجح الأخوان بربروس في خلق ديناميكية جديدة في الحياة الاقتصادية والتجارية في تونس، فكانوا يوزعون الغنائم على الفقراء والمحتاجين، ومساعدة الدولة الحفصية بالأموال، مما جعل لهم حضوة وحب كبير بين أهالي تونس الذين كانوا يستقبلونهما بكل فرح وسرور، يقول خير الدين بربروس في مذكراته: "**وصلنا إلى تونس على أصوات المدافع، مثقلين بغنائم كالجبال، أخذ الغزاة قدر ما يريدون، وقمنا بفرز حصة السلطان، وتصدقنا بمال كثير على الفقراء، فنلنا منهم كثيرا من الدعاء**"[3] ، ويعكس هذا الكلام مدى إدراك الاخوة بربروس ضرورة كسب قلوب أهالي المنطقة،

[1] خير الدين بربروس ، المصدر السابق، ص61.

[2] جزيرة كورسيكا: جزيرة فرنسية نقع غرب المتوسط، جنوب شرق فرنسا. خير الدين بربروس ، المصدر السابق، ص63.

[3] خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص63.

وربط علاقات حميمية معهم، حتى يتسنى لهم التعايش معهم، وطلب مساعدتهم في الأوقات الصعبة، وكذلك في تقديم معلومات لهم حول ما يجري في المنطقة، إن هذه الإستراتيجية كانت تمثل عمق التفكير لدى عروج وخير الدين في ضرورة كسب سلطان تونس وأهاليها، من أجل تنفيذ مهمة مواجهة المشروع الصليبي الأوروبي بقيادة إسبانيا التي استولت على الجزائر ذات الموقع المتحكم في كامل منطقة شمال إفريقيا، فمن يسيطر عليها يستطيع أن يسيطر على كامل المنطقة، بل إن الجزائر كانت بالنسبة إلى الأوروبيين تمثل المنطقة الحامية لأمن كل أوروبا المسيحية، والسيطرة عليها هو حماية لأوروبا، وقد أدرك العثمانيون ذلك، فجعلوا السيطرة عليها أحد أهم أولوياتهم ، لقد ساعد استقرار الاخوة بربروس في تونس على معرفة المواقع والمنافذ الإستراتيجية المهمة على كامل سواحل الشمال الإفريقي، والالمام بطبيعة هذه الجغرافية وبكل تفاصيلها. وقد قام "**محي الدين بيري**" رئيس رفيق عروج وخير الدين برسم خرائط لكامل منطقة شمال إفريقيا، وذكر في كتابه المسمى " كتاب بحرية "معلومات جد قيمة حول المنطقة، حيث يعد هذا الكتاب أحد أهم المصادر الجغرافية التي تقدم معلومات دقيقة حول مناطق شمال إفريقيا في القرن 16، بل هناك خرائط دقيقة للجزائر وتونس ومضيق جبل طارق وطرابلس الغرب وجزيرة جربة[1]،وهذه كلها معلومات تعكس البعد العقلاني والعلمي السليم الذي يتحرك به القراصنة العثمانيون في منطقة شمال إفريقيا، كما تعكس أفق وسعة العقلية السياسية العثمانية التي تؤمن بالتوثيق والتدوين مثلما يذكر خير الدين بربروس أن كتابة مذكراته جاءت بطلب من السلطان العثماني سليمان القانوني حتى تبقى هذه المذكرات دليلا للأجيال، وكذلك حتى لا يتم تشويه التاريخ وتزييفه حول حقيقة التدخل العثماني في منطقة شمال إفريقيا. يقول خير الدين في مذكراته: " وأثناء اتصالي بالسلطان سليمان خان بن سليم خان ورد علي فرمان سلطاني هذا نصه: كيف خرجت أنت وأخوك عروج من جزيرة ميديللي؟ وما الغزوات التي قمتم بها في البر والبحر حتى الآن؟ دون كل هذه الحوادث بدون زيادة أو نقصان في كتاب، وعندما تنتهي أرسل إلي نسخة لأحتفظ بها في خزانتي[2] ، إن مثل هذا

[1] خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص56.

[2] المصدر نفسه ، ص20.

النص يكشف لنا عن ذهنية العثمانيين وعن مدى إدراكهم بأهمية التوثيق والتدوين للحوادث التاريخية، حتى لا يتم تزويرها فيما بعد، كما يتضمن حرص السلطان في طلبه من خير الدين على كتابة الحوادث بكل مصداقية ودون أي تحريف أو تزوير، لأن الحقيقة تظل حقيقة، وأن التزوير لا تقبله لا القيم الدينية ولا الأخلاقية.

من جهة أخرى مثلت تونس مركز تحرك للقراصنة العثمانيين بقيادة عروج وأخيه خير الدين، حيث استطاعوا أن يحققوا نجاحات كبيرة، وتحولوا في نفس الوقت إلى رقم صعب في معادلة الصراع في منطقة البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا يمثلون رعبا حقيقيا للسفن الإسبانية والأوروبية على حد سواء، وبدأت كل أوروبا تحسب ألف حساب لعروج وخير الدين وبقية رفاقهما، حيث يذكر خير الدين ماكان يقوله الإسبان بشأنهما يقول: "**لقد ظهر تركيان اسمهما عروج وخير الدين خضر، ويجب أن نسحق هاتين الحيتين قبل أن تتحولا إلى تنين....**"[1]،من جهة أخرى أصبح القراصنة العثمانيون بقيادة عروج وأخيه خير الدين محل افتخار وإعجاب من قبل السلطان العثماني سليم الأول ومن قبل كل رجالات الدولة العثمانية، حيث أرسل السلطان سليم مكتوبا همايونيا، يشكر فيه عروج وخير الدين وباقي رفاقهما على هذه الجهود العظيمة التي يقومون بها في سبيل الدولة العلية وفي سبيل المسلمين في شمال إفريقيا، ومساعيهم في إنقاذ المسلمين الأندلسيين من البطش والقمع الإسباني، كما وجه السلطان العثماني رسالة إلى السلطان الحفصي في تونس يطالبه بالتعاون مع عروج وخير الدين، وتقديم التسهيلات اللازمة لهما من أجل مواجهة الخطر الصليبي الذي يهدد المنطقة. وقد ذكر خير الدين هذا الخطاب، يقول: " إلى أمير تونس إذا وصلك كتابي هذا عليك أن تعمل به واحذر أن تخالفه، وإياك أن تقصر في تقديم أي عون لخادمينا عروج وخير الدين[2] ، تعكس رسالة السلطان العثماني إلى أمير تونس مدى اهتمام السلطان بمواجهة المشروع الصليبي الأوروبي بقيادة إسبانيا، وبأهمية تونس وموقعها الإستراتيجي في معركة الجزائر التي تعد أهم المعارك في إستراتيجية السيطرة والنفوذ على منطقة شمال إفريقيا، كما تعكس عبارة " احذر" في

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص57.

[2] المصدر نفسه ، ص68.

الخطاب الموجه إلى أمير تونس بأن هناك شكوكا حول هذا الأخير، حيث بدأت هناك ملامح الغيرة والقلق والتخوف منه على عرشه ومن توسع النفوذ العثماني عبر عروج وخير الدين، ويذكر خير الدين أن حاكم تونس بدأ بعد هذا الخطاب في التضييق عليهم، وانتقل إلى تحريض الأهالي ضدهم.[1]

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص69.

الفصل الثاني

بروز الإخوة بربروس في الجزائر

أولا: دور الاخوة بربروس في تحرير سواحل الحوض الغربي للمتوسط

ثانيا: تحرير جيجل وبجاية من الاسبان

ثالثا: مسألة تحرير مسلمي الأندلس

رابعا: المحاولة الثانية لتحرير بجاية

خامسا: الاستيلاء على مدينة الجزائر

سادسا: استشهاد عروج رايس عام 1815

سابعا: إخضاع تلمسان

ثامنا: شارلكان - وخير الدين بربروس

تاسعا: آخر غزوات خير الدين ووفاته في 1543

تمهيد:

أن سبب قدوم الإخوة بربروس إلى المغرب الأوسط كان بعد استغاثة أهالي البلاد مثل أهالي و أعيان بجاية من أجل طرد الإحتلال الإسباني من أراضيهم، غير أنه قد كان للإخوة بربروس ظهور في المغرب الأوسط قبل ذلك ، فقد جاء عن خير الدين بربروس في مذكراته أن مجيئهم إلى المغرب الأوسط أول مرة كان بمحض إذ يذكر أنه عندما كان هو و أخوه عروج يقومان بالقرصنة قبالة سواحل حلق الواد: "**كانا يريدان التوجه إلى جنوة إلا أنه مخالفة الرياح توجها إلى سواحل الجزائر فرسونا أمام قلعة تدعى بجاية**".[1] بسبب الصدفة، و نستنتج من هذا أن أول ظهور للإخوة بربروس في سواحل المغرب الأوسط كان بسبب سوء الأحوال البحرية، وقبل استغاثة أهالي بجاية التي ستأتي بعد ظهورهم الأول في المنطقة.

حيث سنحاول في هذا الفصل مواصلة سرد تفاصيل سبب تواجد الاخوة بربروس في الجزائر وتحرير سواحلها من الغزو الاسباني ، وتم الاعتماد على مايلي في هذا الفصل:

أولا: دور الاخوة بربروس في تحرير سواحل الحوض الغربي للمتوسط.

ثانيا: تحرير جيجيل و بجاية من الاسبان.

ثالثا: مسألة تحرير مسلمي الأندلس.

رابعا: المحاولة الثانية لتحرير بجاية.

خامسا: الاستيلاء على مدينة الجزائر.

سادسا: استشهاد عروج رايس عام 1815.

سابعا: إخضاع تلمسان.

ثامنا: شارلكان – و خير الدين بربروس.

تاسعا: آخر غزوات خير الدين ووفاته في 1543.

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق،ص 64.

أولا: دور الاخوة بربروس في تحرير سواحل الحوض الغربي للمتوسط.

عاش المغرب الأوسط في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، انقساما سياسيا حادا بين إمارات عدة مفككة ومتناحرة فيما بينها. ولقد استطاعت كل واحدةٍ منها تكوين وحدةً مستقلة بذاتها، مستغلين في ذلك الوضع شديد الخطر الذي آلت إليه دولة بني زيان التي لم يلتفت سلاطينها للظروف الصعبة التي كانت تمرُّبها[1].

ومهما يكن من أمر، أصبحت دولة بني زيان مطعمًا للإسبان الذين تمكنوا من استغلال الصراع الدائر بين السلطان (أبوحمو الثالث)، وابن أخيه (أبو زيان المسعود)، فاستولى الأخير على تنس بمساعدة الإسبان ونودي به سلطانًا كما احتل الإسبان المرسى الكبير عام (910هـ / 1505م)، وبدت دولة بني زيان خلال هذه المدة وقد أنهكتها الحروب والصراعات المتواصلة، سواءً بين أبناء البيت الواحد، أو مع القبائل الرافضة لسلطتهم والراغبة في الاستقلال، كقبائل ،مغوارة وتوجين ومليكش، وحصين وغيرها، مما أدى إلى استنزاف خزانة الدولة، واستبقوا سلطتهم فقط في تلمسان وغربها بعناء كبير وبذلك، انقسمت البلاد بين مملكتي بني حفص وبني زيان إلى عددٍ لا يحصى من إماراتٍ وقبائل أو مجموعاتٍ مستقلة[2] .

سرعان ما لحق خير الدين بأخيه في جربة فاشتد ساعده به، وانطلقا معا يُغيران على السفن والسواحل الأوروبية، فزادت سطوتهما، وتضاعفت ثرواتهما إلى حدٍ بعيد. وفي عام (920هـ / 1514م ، قام عروج بإغلاق ميناء مدينة بجاية بنحو أربع سفن، وحاصر قلعتها بمائتين من العثمانيين، وبضعة آلاف من البربر، لكنه لم يتمكن من تحريرها نظرًا لحصانتها، كما فقد ذراعه اليسرى في تلك الأثناء، وعددًا كبيرًا من رجاله. وفي صيف العام التالي وبعد أن برأ تماما من جراحه خرج للغزو برفقة (خير الدين) فغنم سفينة هولندية، ثمَّ رسا بجزيرة

[1] شقدان بسام كامل ، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ / 1235 - 1555م ، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، ص 248.

[2] بوزياني الدراجي، نظام الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص205.

مينورقة، ومن هناك أغارا على خليج "جنوة Genoa"، حيث تمكنا من الاستيلاء على أربع سفن، وتحرير عدد كبير من مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى بلاد المغرب وتوطيهم فيها[1].

وبسبب هذا الهجوم، قرر قائد الأسطول الإسباني أندريا دوريا Andrea Doria استرجاع ما تمت خسارته في هذا الخليج وفي طريقه، علم أن خير الدين مُكلف بحراسة السفن في حلق الوادي، فراح مسرعًا لمهاجمة جند خير الدين، فأمر الأخير بتحطيم وإغراق السفن التي يحرسها لكيلا تكون غنيمة للمهاجمين. ثم تقدّم لردعهم، لكن صفوفه لم تكن كافية لمقاومة قوة الإسبان، فراحت سفنه تسارع الفرار إلى تونس، ومنها استطاع (دوريا) دخول الحصن ونهبه واسترجع السفن الجنويّة المسلوبة، وست سفن أخرى تعود ملكيتها إلى (عروج)[2].

ولا غرابة في أن زعماء القبائل المتنفّذة في المغرب الأوسط، كان من الصعب عليهم قبول فكرة الخضوع لسادة جدد، كالأخوين بربروس الذين أخذا على عاتقهما مهمة مقاومة النزعات الاستقلالية التي تفشت بين هؤلاء الزعماء؛ لذا كانت مهمتهما القضاء عليها، قبل أن يوجها طاقاتهم الجهادية ضد الخطر الإسباني المهيمن على سواحل المغرب الأوسط.

ثانيا: تحرير جيجل و بجاية من الاسبان.

إن النجاحات التي حققتها الاخوة بربروس بمعناها الجهادي في مواجهة الخطر الصليبي الإسباني في البحر الأبيض المتوسط، والأعمال الخيرية التي قاموا بها من مساعدة للفقراء ومن خلق حركة تجارية في تونس وفي المنطقة، أحدثت الرغبة لدى سكان الجزائر وباقي سكان شمال أفريقيا إلى الاستنجاد بالعثمانيين لتخليصهم من التهديدات الإسبانية. وقد تحدث خير الدين بربروس حول استنجاد أهالي الجزائر بهم لإنقاذهم من الاحتلال الإسباني الذي احتل مدينة الجزائر وبجاية ووهران، وأصبح يمارس ممارسات وحشية ضد المسلمين فيها، ويذكر أن وفدا من مدينة بجاية قدم إلى عروج حاملا له رسالة جاء فيها:" **إن كان ثمة**

---

[1] مجهول المؤلف ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق د. عبد الله حمادي الجزائر ، دار القصبة للنشر، ،2009ص66-68.

[2] هايدو، فراي دييغو ، تاريخ ملوك الجزائر، ت رجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، ط 1 ، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،2013،ص18.

مغيث منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار"[1].

في الوقت الذي كنا نهم فيه بالتحرك نحو بجاية إذا ببيري رئيس يدخل السواحل التونسية، فأخذناه بسرعة إلى سفينتنا، وسألناه بلهفة عن أحوال إسطنبول. أما السفينة التي كان يركبها بيري رئيس فإنني بمجرد أن رأيتها حتى كاد عقلي يطير من شدة الإعجاب بها لقد كانت ضخامتها وروعتها توحيان بأنها مما تفضل به السلطان علينا، فامتلأ قلبي سرورا بذلك. وعندما قرأت الخط الهمايوني المبارك الذي بعث به السلطان المعظم سليم خان تضاعف سروري، واغرورقت عيناي بالدموع.

قبلت الخط الهمايوني سبع مرات ووضعته على رأسي وحمدت الله كثيرا على أن جعلني في خدمة سلطان معظم كهذا. واما اخي عروج فقد غمره الفرح عندما رأى السفينة التي أنعم بها السلطان عليه فدعا له كثيرا على تفضله عليه بهذه السفينة العظيمة. كان السلطان سليم خان قد أرسل خطا همايونيا إلى سلطان تونس.

ثالثا: مسألة تحرير مسلمي الأندلس.

يذكر خير الدين بربروس انه في اليوم الموالي مع أخيه السفينتين اللتين وهبهما السلطان لنا، كان كل سفينة ذات سبعة وعشرين مقعدا ستة عشر مدفعا انطلقنا في اثنتي عشر قطعة فاستولينا على سفينة محملة بالشمع على متنها خمسة وعشرون كافرا، بينهم أربعون أسيرا من إخواننا الأندلسيين، قمنا بتحريرهم جميعا وأرسلناهم مع دلي محمد رئيس في سفينة إلى تونس. كنت أحب دلي محمد رئيس الذي كان شابا شجاعا لا يعرف الخوف أبدا، لو قام بمبارزة خمسة عشر أو عشرين بمفرده لا نتصر عليهم.

قدمنا إلى ميناء بجاية الجزائرية في ألفين وثلاثة وثلاثين بحارا وعشرة سفن قادرغة، ومائة وخمسين مدفعا وآلاف الأسرى الذين يقومون بالجدف، كانت قلعة بجاية في أيدي الكفار

[1] هذه أول مرة يطلب فيها أهالي بجاية تدخل الإخوة بربروس لتحرير مدينتهم من الاحتلال الإسباني (1512) ، حيث كانوا في تونس خلال هذه الفترة .خير الدين بربروس ،المصدر السابق ، ص76.

الإسبان اشتبكنا معهم في معركة دامت ثلاث ساعات ونصف، قتل فيها أكثر الكفار عندما علم أعراب البوادي بانتصارنا في بجاية لحق بنا عشرون ألف رجل منهم لمساعدتنا إلا أنهم لم يكونوا يعرفون فنون القتال جيدا. تحصنت شرذمة من الكفار بالقلعة واستمرت في المقاومة تسعة وعشرين يوما. كنا على وشك الاستيلاء على القلعة إلا أن عدم امتلاكنا للمدافع التي تستعمل لقصف الحصون حال دون تمكننا من فتح ثغرة كبيرة في القلعة.

بلغنا أن قوات إسبانية كبيرة تحركت من جزيرة مينورقة في طريقها إلينا، تركنا بجاية وانسحبنا إلى جيجل لترصد القوات الإسبانية القادمة من مينورقة ،وأخيرا لاحت لنا في الأفق عشرة سفن كبيرة من نوع قادرغة، كانت شحونة بالأسلحة والمعدات العسكرية، فقال أخي عروج:

" هذه نعمة ساقها الله الينا"[1]

وكانت قلعة بجاية على السواحل الجزائرية أحد أهم القلاع التي تتحكم بشكل كبير في الشريط الساحلي و في المداخل المؤدية إلى الجزائر، وقد تحدث محي الدين بيري رئيس في كتابه " **كتاب بحرية**" عن قلعة بجاية ووصفها بأنها قلعة مهمة وحصينة وتقع في موقع إستراتيجي مهم، ورسم لها خريطة خاصة على طول السواحل الجزائر.[2]

أكد عروج أن عملية فتح بجاية تحتاج إلى خطة محكمة، كما رأى أن أحسن قاعدة له هي مدينة جيجل، التي كان يحتلها الجنويين ويمارسون فيها صيد المرجان، فشن عليها حملة وتمكن منها، وانتزعها من الجنوبيين عام 920هـ/1514م وأسر منها 100 جندي

جنوي ، واتخذوا منها مركزا لأسطولهم البحري بدلا من جربة وتخلو من ضغوطات الأمير الحفصية هنا يبدوا السلطات الحفصي تخوف من الإخوة بربروس ورفض لهم السماح بالبقاء في مينائه، كما رفض تزويدهم بالبارود وهذا بعد أن أصبحت أسماءهم منتشرة في جميع البحر الأبيض المتوسط". لقد أرسل الأخوان إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس

[1] خير الدين بربروس ،المصدر السابق ، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص79.

التي استولوا عليها بعد فتح مدينة جيجل، فقبلها السلطان ورد لهما المدينة بإرسال أربعة عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود.

وفي سنة 1515م حاول عروج من جديد تحرير بجاية بمساعدة القبائل الجبلية، وتمكن من الاستلاء على أحد القلعتين التي بناها الإسبان وحاصر بجاية والقلعة الثانية، لكن لم يوفق في تحريرها لأن تلك القبائل انصرفت بدون استئذانه لزرع الحقول وتبعها عدد كبير من الجنود الاتراك فاضطر عروج إلى الفرار وإحراق 12 سفينة ضخمة كانت راسية في النهر ثم انسحب إلى جيجل.[1]

رابعا: المحاولة الثانية لتحرير بجاية

لما استقر الإخوة في جيجل وبايع أهلها أخاه عروج أميرا عليهم قاموا بمحاولة أخرى عليها سنة 1515م، حيث حاصروها وأخذوا إحدى القلعتين ودخلوا المدينة وكادت كفة الانتصار أن تكون لصالح آل بربروس إلا أن انسحاب قبائل الجبلية، والتي انسحبت بعد نزول الأمطار أجل حرث حقولها، وتبعهم عدد من الجنود الأتراك[2] ، إضافة إلى من نفاذ البارود من عندهم وتماطل السلطان الحفصي بإمدادهم به، فاضطر الإخوة بربروس إلى الانسحاب إلى جيجل[3] التي كانت تحتل موقعا استراتيجيا مهما.

كان سلطان إمارة كوكو ابن القاضي وعد الاخوة بالإعانة و التأييد، وقد أورد صاحب نزهة الحادي نصاً في هذا الصدد جاء فيه: "**إن أحمد إبن القاضي أمير كوكو لما رأى من قوة النصارى و ضعف المسلمين كاتب الترك بحسن نيته أن يرفعوا من عزة الإسلام ما انخفض وقال : إن بلادنا بقية لك و أو لأخيك أو للذئب، فأقبل الترك نحوه**"[4]

---

[1] الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد الأخضر، محمد حجي، ،الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط 2، 1983، ص38-39.

[2] المصدر نفسه، ص39.

[3] ابن أبي الضياف،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: ش، ث ، و أ، الدار التونسية للنشر،د، س، ن، ج2. ل،ف، ص11.

[4] عزيز إلتر سامح، المرجع السابق، ص.48.

مسرعين و جعل هو يحرض الناس في إتباعهم و الإنخراط في سلكهم و السمع و الطاعة لأميرهم عروج خرج عروج في سنة 1515م بعمارة بحرية إلى بجاية و حين وصلت قرب المدينة إخترقت وادي الصومام الذي كانت مياهه غزيرة تساعد على الإبحار، كما قامت جيوش القبائل المحلية بحصار المدينة من جهة البر و هكذا حاصر المسلمون مدينة بجاية و تواصل الحصار مدة أربعة و عشرين يوماً[1]، غير أن نفاد الدخيرة و البارود حال دون فتح المدينة و اضطر المسلمون إلى الإنسحاب و فك الحصار، وقد كان عروج قد راسل السلطان الحفصي من أجل الإعانة غير أنه تجاهل ذلك خشية على ملكه.[2]

كما أن أهل جيجيل كانوا يقدرون الإخوة ويحترمونهم، وبذلك لقي الإخوة ترحيبا كبيرا منهم.

لذلك كانت أولى المراحل للدخول إلى الجزائر هو الاستيلاء على قلعة بجاية التي كان فيها ميناء كبير، وقد استعد عروج وخير الدين لشن هجوم على بجاية وقلعتها، وقد تمكنوا خلال مدة وجيزة من السيطرة على القلعة، والقضاء على الاحتلال الإسباني، بمساعدة الأهالي الذين قدموا لمناصرة العثمانيين في معركة القلعة التي أصبحت مركزا ومقرا لخير الدين وعروج ورفاقهم. لقد أحدث هذا الانتصار في بجاية هلعا كبيرا في الإسبان، كما شكل تخوفا كبيرا من بعض الأمراء الجزائريين المتعاونين[3] مع الإسبان مثل أمير تلمسان.

" قامت قيامة الكفار في اسبانيا عندما بلغهم فتحنا لقلعة بجاية ، فغرقوا في بحر الهموم والأحزان، أما ملك اسبانيا كارلوس، فقد أصدر أوامره بوجوب تخليص بجاية، وإنقاذ الأسرى من الأتراك في الحال، ومن ناحية أخرى فإن أهالي الجزائر رأوا أن الأتراك قادرين على قصم ظهر الإسبان، إضافة إلى أنهم مقيمون للعدل ويخشون الله "[4]

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص169.

[2] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص91.

[3] المصدر نفسه، 80.

[4] المصدر نفسه، ص82.

خامسا: الاستيلاء على مدينة الجزائر.

ثم جاء دور مدينة الجزائر ثاني المدن التي خضعت للإخوة بربروس، حيث تلقى عروج دعوة من أهالي المدينة وأميرهم سالم التومي في عام 1516م، لتخليصهم من الإسبانية الموجودة بحصن البينيون، التي كانت تضايقهم، وتشل حركتهم، وتحول دون ممارستهم للغزو البحري، فاستجاب لطلبهم بعدما أمدوه بالمعلومات اللازمة عن ا وتحصنها، ودخل المدينة بعد أن قدم إليها براً واستقبل بحفاوة من طرف سكانها الذين بايعوه على الجهاد، وشرع في مهاجمة الحصن الإسباني، بعد أن استولى على بلدة شرشال المجاورة، ولكن مدفعيته لم تستطع التأثير على الحصن القوى مع أنه لم يكن يبعد عن المدينة بأكثر من 100م، وذلك لصغر حجمها وقصر مداها، وفي تلك الأثناء كان سالم التومي حاكم المدينة السابق، يتصل سراً بالإسبان عن طريق وسطاء، غير أن خلال جواسيسه، ولاستباق الوضع والإمساك بزمام الأمر ، ولإحباط المكيدة فقد أعدم سالم التومي، الذي فر ابنه إلى الاسبان قصد الاحتماء، وطلب النجدة منهم [1].

(يحيى بن سالم التومي) فقد مضى الى وهران بعد مقتل ابيه ،يستنجد بالاسبان، ويبين لهم خطر استقرار الاتراك بمدينة الجزائر، ويستعديهم عليهم بكل سرعة حتى يعيدون إليه مشيخة أبيه على مدينة الجزائر. ولم يكن الاسبان في حاجة لمثل هذه الاستثارة، فقد ادركوا للوهلة الأولى ان استقرار عروج بمدينة الجزائر وبيعة اهلها له (اميراً على الجهاد) سيهدد كل مشاريعهم بالانهيار، وسيقضي على المخططات الصليبية في التوسع عبر أقاليم المغرب الاسلامي.[2]

وبالإضافة الى ذلك فان تعاظم قوة (عروج وأخيه خير الدين) تلك العلاقات التي جهدت اسبانيا في اقامتها مع المتعاونة معها، وهو أخطر ما كان يتهددها فقررت تنسيق الجهد مع عملائها للقيام بهجوم مباغت على الجزائر، تشترك فيه فيالق عسكرية جديدة بالإضافة الى

[1] بسام العسلي، خير الدين والجهاد في البحر 1470/1547 ط 1 ، سلسلة جهاد شعب الجزائر، دار النفائس،بيروت، 1400 – 1980م، ص ، ص 93-95.

[2] المصدر نفسه، ص95.

حامية حصن الصخرة (البنيون)[1] وقوات سلطان تنس وقوات الحاقدين على (عروج واخيه) من أمثال (يحيى بن سالم التومي وانصاره، وبالإضافة أيضاً الى جموع الأعراب من بني سالم) والذين كانوا ينتشرون حول الجزائر والذين كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة وفقاً لتقدير السلطات الاسبانية من أجل الانقضاض على المدينة لتدمير النظام الجديد الذي اقامه (الأخوان ذوي اللحى الشقراء) والفوز بشيء من غنائمه وأسلابه، أعد الكاردينال (خمينيس) حملة جديدة ضد الجزائر، وأشرفعلى تجهيزها، وعين لقيادتها قائداً من أبرز القادة الأكفاء هو (ديافودي فيرا). وأبحرت هذه الحملة في اواخر شهر ايلول – سبتمبر 1516م من الموانىء الاندلسية وهي تضم (35) سفينة تحمل قوة من ثمانية آلاف مقاتل مع متطلباتها من المدفعية والذخائر، واختارت لنزولها السهل الذي يقع عليه اليوم – (ربض باب الواد) حيث كان يصب وادي المغاسل في البحر. وكان (عروج) وقادة المجاهدين معه من أبناء الجزائر يتابعون الموقف، فوضعوا مخطط عملياتهم كالتالي :

– استنزاف القوة الاسبانية بعمليات خاصة – اغارات وكمائن – وذلك عند انتشار هذه القوة حول المدينة، ثم زج كتلة القوات الرئيسية بعد إضعاف القوة الاسبانية وتدمير روحها المعنوية .[2]

ومقابل ذلك وضع قائد القوة الاسبانية مخططه كالتالي :

أولاً : إنزال القوات والاسلحة الى المنطقة الساحلية، وإقامة معسكر لها في المرحلة الأولى.

ثانياً : تسلق المرتفعات المحيطة بالجزائر، فيما يلي الأسوار، واحتلال موقع القصبة، والإشراف منه على المدينة، وقصفها بالمدافع .

ثالثاً : انتظار الجيش الذي سيقوده (سلطان تنس) ومهاجمة المدينة بقوة. في الوقت الذي يكون فيه عملاء الاسبان قد اضطلعوا بتنفيذ المؤامرة لضرب الجيش الاسلامي من الداخل.

---

[1] البينون : وهي الصخرة المقابلة لمدينة الجزائر على شكل قلعة جميلة، وقد كلف القائد الأكبر للأسطول الإسباني بيير نفارو سنة 916هـ /1510م، القائد دييكو دي فيرا بتأسيسها. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 38.

[2] بسام العسلي، خير الدين والجهاد في البحر 1470/1547، المصدر السابق، ص96.

أخذ كل من الجانبين في تنفيذ مخططه بدقة وعناية. فدارت المعركة بسرعة مذهلة، ولم تستمر أكثر من أيام قليلة، وتم التنفيذ على النحو التالي[1] :

– نزل الجيش الاسباني الى السهل بدقة ونظام محكمين في يوم 30 ايلول – سبتمبر – 1516 وأخذ في تسلق المرتفعات المؤدية الى القصبة خلف المدينة طوال يومي 1و 2 من تشرين الأول – اكتوبر . وانطلقت زمر المجاهدين التي تركها (عروج) حول تلك المرتفعات الأسوار، فأخذت في الاشتباك مع الاسبانيين، وتوجيه خارج الضربات اليهم بصورة مباغتة وسريعة من كل الاتجاهات، والانسحاب قبل أن يتخذ هؤلاء اجراءات مضادة، ووقفت القوات الاسبانية أمام مأزق حرج وهي تتحرك بين الأسوار الحصينة من جهة وبين زمر المجاهدين المنتشرين في كل مكان من جهة اخرى.

سادسا: استشهاد عروج رايس عام 1815.

كان سلطان تلمسان[2] ملكا بائسا خاضعا لكفار إسبانيا، أما الأهالي فقد كانوا يعانون من ظلم الإسبان، ومن ظلم سلطانهم أيضا، ومنذ مدة طويلة جاء انت تحكم من الحلية للجزائر من وسطها فهم – أي التلمسانيون إلى الجزائر متوسلين إلى أخي عروج أن يأخذ لهم حقهم من ظلامهم، أما أخي فقد كان عازما على الاستيلاء على تلمسان لكنها كانت بعيدة جدا على أطراف فاس. كما أنها لم تكن بلدة ساحلية يمكن الوصول إليها بواسطة السفن. إضافة إلى ذلك أن السلطان كان له جيش كبير مكون من العرب والإسبان. لقد كانت تلمسان أكبر بلد في الجزائر وفتحها في غاية الصعوبة.

في هذه الأثناء ثار أهالي تلمسان ففر السلطان وأرسلوا وفدا إلى أخي عروج بايعونه سلطانا عليهم، سُر أخي كثيرا لإعلان دخولهم في ولايته دون قتال.[3]

---

[1] بسام العسلي، المصدر السابق، ص97.

[2] يعني به السلطان أبا حمو الثالث.

[3] لا بد من توضيح بعض المسائل المتعلقة بهذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الجزائر، وهي أنه لما عقد السلطان الزياني أبو حمو الثالث معاهدة مع الإسبان، أرسل أهالي تلمسان إلى عروج يبايعونه سلطانا عليهم، ويطلبون منه القدوم عليهم لتخليصهم من أبي حمو وحلفائه الإسبان. فآثر عروج أن يجلس أبا زيان المسعود – وهو ابن أخ أبي حمو = الثالث على عرش بني زيان أملا في الجمع بين توحيد الجزائر تحت سلطة مركزية وحلفائه الإسبان. فائر عروج ان يجلس ابا ريال المسعود وهو

عندما خرج عروج لإخضاع القبائل المتمردة في الغرب الجزائري و انشغاله بالتفاوض مع الوطاسيين عن إمكانية التعاون معهم لمواجهة الاحتلال الإسباني للثغور الجزائر و المغرب[1]، السلطان الزياني أبي زيان تمرده، ورغب أهالي تلمسان في مساعدة بني عبد الواد فهجموا على عروج ثم وكان شديد البأس فدخل تلمسان عنوة فأمر عروج بإعدام السلطان الزياني، وقتل سبعة من أبنائه وسبعون من عائلة بني زيان وأكثر من ألف من أهل البلد[2]، بينما توجه أبو حمو الثالث إلى حاكم وهران للاستنجاد بالإسبان ومقابلة الملك شارل الخامس الذي اصدر أوامره للحامية الإسبانية بمساعدة السلطان الزباني و القضاء على الحامية العسكرية العثمانية بقيادة عروج. انطلقت قوات إسبانية نحو مدينة تلمسان وعمدت على فرض حصار قوي ومحكم، إلا أن دفاعاً مستميتاً ،عن المدينة، ودامت فترة الحصار ستة أشهر، وكان القتال بين الطرفين مستمراً في هذه الفترة، وتمكن الإسبان من السيطرة على مناطق الاستحكام، وتحولت المعركة إلى قتال شوارع، وفقد عروج سيطرته على المتاريس الداخلية، فانسحب إلى القلعة الداخلية، واستمر بالمقاومة حتى وهو ضمن القلعة. ضجر سكان تلمسان من الحصار الطويل، فاتفقوا فيما بينهم على ضرورة ترك الأتراك، وعندما حل يوم عيد الفطر طلب الأهالي منه السماح لهم بالصلاة في جامع المشور".

عند دخولهم للقلعة الداخلية سلوا سيوفهم وبدأوا بقتل الأطفال، إلا أن عروج تمكن من السيطرة على الموقف وقام بتطويق الأهالي بعدها أمر عروج بالانسحاب لقلة عدد الجنود

ابن اخ ابي حمو الثالث – على عرش بني زيان، أملا في الجمع بين توحيد الجزائر تحت سلطة مركزية، والإبقاء على الحكم الزياني في تلمسان. لكن رغبته تلك كانت بمثابة الجمع بين غايتين متناقضتين. فلم يمض وقت قصير حتى عادت الاضطرابات إلى تلمسان من جديد. ولم يتردد السلطان الزياني الجديد أبو زيان في التواطؤ ضد عروج. الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى الأمر بإعدامه، إضافة إلى ذلك أن أهالي تلمسان انقلبوا على عروج لما رأوه منفضاضة الجنود الأتراك ، خير الدين بربروس المصدر السابق، 95.

[1] ظهرت دولة بني وطاس بعد المرينيين ما بين (1420-1554) ، تعرضت خلال مراحل تأسيسها إلى الغزو البرتغالي الذي استولى على مناطق تطل على المحيط الأطلسي من أم الربيع إلى نهر سيبو. فاستولوا على أغادير . سنة 1505، و أسفي سنة 1508 و أزمور سنة 1513 ، أما الإسبان فاستولوا على مليلية سنة 1497 وحجر باديس سنة 1507 .
ينظر : محمد خير فارس المرجع السابق، ص ص 5 -15.

[2] Berbrugger, A, Le Pégnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie Paris, Challamel libraire, Alger, 1860, p.58.

الأتراك المتبقين، وكان هذا يعني اختراق صفوف أعداءه لكي يصل للساحل لانتظار سفن أخيه الدين واستغل ظلام الليل وتمكن من الخروج من دون يشعروا به إلا بعد عدة ساعات، وحالما علموا قامت فرقة من الخيالة بملاحقته، وحاول أن يشغلهم بإلقاء ما لديه من المال والأشياء الثمينة ولم يفده ذلك، واستمرت الفرقة بملاحقته حتى أضطر على الالتجاء في خرابة قديمة، وبدأ بالتصدي لهم في معركة غير متكافئة وظل يقاتل حتى مات كل رجاله وقتل وكان ذلك في شهر ماي سنة 1518م، وقطع رأسه وحمل مع ألبسته إلى إسبانيا التي طيف بها في أغلب المدن الإسبانية ثم أودعت في كنيسة سانت جيروم في قرطبة.[1]

عندما وصل خبر استشهاد أخي إلى الجزائر قررت أن أعيش لغاية واحدة هي المضي في نفس الطريق الذي سار فيه أخي ، تلك الغاية التي كانت تتمثل في التضييق على الكفار في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط، فما قيمة الحياة بعد مقتل اخي.

كان الإسبان يقولون:

" الشكر لعيسى فقد استرحنا من البلاء الأكبر، والآن يجب أن نتخلص بسرعة من البلاء الأصغر، قبل أن يتحول الثعبان إلى تنين"[2]

جاءني رسول من الملك كارلوس ملك إسبانيا ليقول لي:

" لقد مات أخوك وقتل أكثر جنوده فكسر جناحك. من تحسب نفسك حتى تقف في وجه أقوى ملك مسيحي بدون أخيك؟ ماذا يمكنك أن تفعل؟ خذ سفنك ورجالك واخرج من الجزائر فورا، وإياك أن تطأ قدماك أرض إفريقيا مرة أخرى. إن هذا آخر إنذار أوجهه إليك، سوف أملأ البحر بالسفن وأعود إلى الجزائر قريبا، فإذا تمكنت منك هناك، فلتعلم بأن عاقبتك ستكون وخيمة"

[1] De Rotalier, Charles, Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans ma méditerranée a dater au seizième siècle, Paris, 1841, pp.121–124.

[2] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص102.

كنت سلطانا على الجزائر، وفي الوقت ذاته كنت عبدا بسيطا لدى آل عثمان لمنصب بايلرباي الجزائر.[1]

وبعد استشهاد عروج قرر أعيان مدينة الجزائر مبايعة خيرالدين بالإجماع خلفا لأخيه، وفي هذه الأثناء كان الاتصال جاريا بين خير الدين بربروس وبعض الأعيان من أهل مزاب بجزائر بني مزغنة، استمرارا للعلاقات التي تأسست في جربة التونسية، وبقي خير الدين بربروس حاكما على مدينة الجزائر، فاستعصت عليه الأمور لما رأى من كثرة المتآمرين عليه الحفصين بتونس ومن الأمير الزياني أبي من حمو الثالث بتحريض من الإسبان هذا بالإضافة إلى الانتفاضات الداخلية التي اندلعت في جهات مختلفة ضد حكم خير الدين، وأصبحت القلة من جنوده الذين بقوا غير قادرين على مواجهة العديد من الأعداء في وقت واحد، فقرر خير الدين المغادرة لمتابعة جهاده البحري في مناطق أخرى.[2]

لكن قبل ذلك خاطب أعيان المدينة قائلاً: ذ« **إني عزمت السفر إلى حضرة السلطان ، وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من جهاد، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من عدة، من سفن وأسلحة من أجل أن تقوموا بمحاولات جديدة... لقد تركت أكثر من 400 مدفع و لم يكن في بلادكم مدفع واحد... ولم يبق لي الآن شيء أفعله من أجل إسعاد مدينتكم، فقررت أن أغادركم وأترك إلى جانبكم فرقة كافية من المحاربين الأبطال، الذين سيعملون من أجل أن يحترم اسم الجزائر...، وحينما تجدون أنفسكم أمام ضائقة وتبرز أمامكم حالات صعبة وخطيرة استشيروا الفقهاء وهذين القائدين الشجاعين اللذين هم**

[1] يلاحظ أن خير الدين لم يراع التسلسل التاريخي أثناء سرده للأحداث، وواضح أنه كان يركز على رد الفعل العسكري الذي قام به الإسبان بعد مقتل عروج، دون النظر إلى ترتيب الحوادث التاريخية زمنيا = فبالنظر إلى المصادر التي تحدثت عن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر يفهم أنه لم يتم تعيين خير الدين بربروس بيلربايا على الجزائر إلا بعد استشهاد أخيه عروج، وإرسال وفد مدينة الجزائر إلى إسطنبول. حيث قابل الوفد السلطان وعرضوا عليه بسط حمايته على بلدهم وإلحاقها بالدولة العثمانية فهناك أرسل السلطان فرمان تعيين خير الدين بيلربايا على الجزائر. خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص103.

[2] عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، دار المعرفة، الجزائر، ص 64- 65.

بجانبي، بن القاضي قائد المنطقة الشرقية ومحمد بن علي أحمد قائد المنطقة الغربية، وبمساعدتهم وبعون الله ستتغلبون على كل العراقيل».[1]

وجه أعيان مدينة الجزائر بقيادة أبو العباس أحمد بن القاضي رسالة الى السلطان سليم الأول* يناشدونه فيها الحماية والانضمام الى الدولة العثمانية وتعتبر هذه الرسالة أول وثيقة في تاريخ العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية وقد جاء في الرسالة ما يلي "ومفاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي إلا أن عرفنا البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه أن لا يرحل خوفا من الكفار لأن هدفهم هو النيل منا ونحن على غاية من الضعف والبلاء ولهذا أرسلن الى بابكم العالي" المدرس سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد خدام أعنابكم العالية وأهالي إقليم أحمد بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي**[2]

ولقد استجاب السلطان سليم الأول لطلب مدينة الجزائر، وقام بإرسال قوة مؤلفة من 2000 جندي انكشاري مزودة بالمدفعية و 4000 متطوع[3]، وقام بمنح خير الدين رتبة بايلرباي أي أمير الأمراء حيث أصبح بموجبها القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليم الجزائر وممثلا خاصا للسلطان العثماني، وثم ضرب السكة باسم السلطان العثماني وذكر اسمه في الخطبة.[4]

---

[1] أبو العباس احمد بن خالد سلاوى، استقصاء لأخبار أبو العباس، دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصرى ومحمد الناصري ، ص 404-403.

*سليم الأول : السلطان سليم الأول تاسع سلاطين الدولة العثمانية وأول خلفاء العثمانيين الملقب بـ ياوز أي القاطع أو سليم خان أول أبناء السلطان با يزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح ولد في 10 أكتوبر 1470م-872هـ في أماسيا بالأناضول، تميز سليم بشجاعة وكان شرس الطباع محبا للقتال ولهذا كان محبوبا من الجيش عموما والانكشارية خصوصا ينظر: منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الامارة الى الخلافة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2013، ص193.

**"الباب العالي: مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية وقد أنشأه السلطان محمد ا الرابع سنة 1654 وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنة وهو يعني الوزير الأعظم ينظر : سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 49.

[2] عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول 1519 ، مجلة التاريخية المغاربية، عدد6، 1976، ص118.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص62.

[4] بسام العسلي، المصدر السابق، ص 108.

بعد وصول الوفد إلى حضرة السلطان العثماني سليم الأول لقي ترحيبا كبيرا من طرف السلطان وحاشيته، وقاموا باستعراض بمدافعهم فأطلقوا قذائف كثيرة، وأنزلوا الهدايا وقدموها لأصحابها وأوصل الصدر الأعظم الهدية الخاصة بالسلطان، وقد قبلها منهم[1] ، وأمر بإنزالهم في دار الضيافة أما خير الدين فقد أرسل إليه السلطان سيفا، وخلعة سلطانية وسنجقا وفرمانا يقضي فيه بتعين خير الدين حاكما على الجزائر.[2]

كما أعلم قنصل البندقية الذي كان متواجدا في اسطنبول بعدم التعرض للسفن الجزائرية من طرف القراصنة البندقيين ، وإعطاء الوفد تأشيرة مرور تحملها السفن الجزائرية تدل على أنهم تابعين للأسطول العثماني.[3]

سابعا: إخضاع تلمسان

وحينما قتل عروج وجلس أبو حمو مرة أخرى على عرش تلمسان بدعم من الإسبان، لجأ أخوه الأمير عبد الله إلى وهران ملتمسا دعم الإسبان في مطالبته بعرش تلمسان، بينما لجأ الأمير مسعود إلى خير الدين طالبا منه نصرته على أن يكون حليفا وتابعا له.

وافق خير الدين على مساندة الأمير مسعود، وأرسل كتابا إلى زعماء القبائل العربية في الغرب الجزائري يدعوها إلى خلع سلطان تلمسان أبي حمو الزياني، ومبايعة أخيه المسعود فأجابوه إلى ذلك، واجتمع للمسعود عشرون ألفا منهم، بالإضافة إلى قوات تركية كان خير الدين قد بعثها إليه، فسار بها جميعا إلى تلمسان التي فر منها سلطانها أبو حمو عندما رأى قوات أخيه المدعومة بالأتراك، فدخل المسعود وجلس على عرش تلمسان تابعا الخير الدين[4]

غير أنه لم تمض فترة وجيزة حتى أعلن المسعود انقلابه على خير الدين واستقلاله عنه. فما كان من الأمير عبد الله إلا أن سارع إلى خير الدين عارضا خضوعه وتبعيته له مقابل نصرته

[1] محمد دراج ، الدخول العثماني الى الجزائر، المصدر السابق، ص257.

[2] مجهول ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص106.

[3] وليام سبينسر، المرجع السابق، ص45.

[4] كاتب جلبي، تحفة الكبار في اسفار البحار، استنبول، 1329، ص47.

على أخيه. انتهز خير الدين هذا الصراع القائم بين أفراد البيت الزياني لاستثماره في فرض سلطانه على تلمسان وتفويت فرصة تدخل إسبانيا لدعم أحد أطراف الصراع لصالحها، وأعلن دعمه للأمير عبد الله ضد أخيه المسعود على أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني[1] ،ولكن ما كاد خير الدين يغادر تلمسان حتى أقبل المسعود.

في جيش من أنصاره، وفرض حصارا شديدا على تلمسان استمر 3 أشهر، فأرسل على إثر ذلك خير الدين قوات المساندة حليفه المحاصر في تلمسان، فتمكنت القوات العثمانية من فك الحصار عن تلمسان والقضاء على قوات المسعود، وأسره، ووضعه في السجن حيث لقي حتفه فيه[2] .

ثامنا: شارلكان – و خير الدين بربروس

كان فشل شارلكان (شارل الخامس) في حملته على الجزائر، ذا أثر عميق لا على الامبراطورية الاسبانية، وعلى ملكها شارلكان، وإنما على مستوى الاحداث العالمية . وقد حفظ الشعر العربي هذا الحدث الذي قيل فيه:

سلوا شرلكان كم رأى من جنودنا ** فليس له إلاهم من زواجر**

فجهز أسطولاً وجيشاً عرمرما ** ولكنه قد آب أوبة خاسر**

ونزلت أنباء الهزيمة نزول الصاعقة على أوروبا، وتطورت الأحداث هنالك بسرعة، فلم يبق حليف للامبراطور سوى هنري الثالث ملك إنكلترا، وانضم الى ملك فرنسا الدوق (دي كليف) وملك الدانمارك وملك اسكندينافيا، وكان فرح الفرنسيين يكاد يساوي فرح الجزائريين لأن سقوط الجزائر كان يؤدي لا محالة الى سقوط فرنسا وبادر ملكها فرنسوا الأول لإبرام معاهدات مع السلطان العثماني، وكان لهذه الغارة أيضاً نتائج معنوية داخل القطر وخارجه، وفي الجزائر اقيمت الافراح وتواصلت الاحتفالات بمناسبة هذ النصر المبين الذي كتبه الله للمرة الثالثة في ظرف ثلاثين سنة، وكان يهود العاصمة أكثر الناس اغتباطاً وفرحاً، لما كانوا يضمرونه من حقد وعداوة للاسبان الذين أذاقوهم كل انواع العذاب والاضطهاد يوم كانوا بأوروبا. وقد وجد

[1] كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 47.

[2] المصدر نفسه ، ص 47.

اليهود هنا الأمن والاستقرار والمجال الممارسة نشاطهم مما جعلهم يخافون انتصار الاسبان على الجزائر، وبمجرد انسحاب شارل الخامس اطمأنت قلوبهم وصاروا يصومون اليوم الثالث من شهر ششوان ، ويحتفلون في الرابع منه – ببورم الأول – (108هـ) وكانوا ينشدون القصائد من نظم رباني العاصمة (مثل مشيش) و (ابراهيم بن يعقوب تواه) و (ابراهيم بن سليمان صرفتي) وهي قصائد في تمجيد الانتصار الجزائري ومدح بطولة الجزائريين وهزيمتهم للاعداء كلما تجاسروا على غزو العاصمة. وبقي اليهود الى القرن التاسع عشر يحتفلون كل عام بذكرى109هـ = 1541م.

"كانت وضعية الصليبيين قد بلغت درجة من السوء يعجز اللسان عن وصفها. وأما الملك كارلوس فإنه في الوقت الذي كان يملك نصف أوربا، إلا أن الهزيمة الشنعاء التي مني بها أمام أسوار الجزائر دفعته إلى ذبح فرسه الثمينة ليقتات بلحمها"[1]

وفي الخارج بقي رعب المسلمين في قلوب أهل أوروبا لمدة، طويلة)، ولم يعد شارل الخامس قادراً على التفكير في حملة أخرى ضد الجزائر. وطغى شبح خير الدين وحسن آغا على العامة والخاصة حتى أصبح الناس إذا رأوا جفنا عن بعد نسبوه الى خير الدين، فيتصاعد الصراخ ويكثر العويل ويفر السكان من ديارهم ومن حقولهم ومتاجرهم. وإذا حطمت الزوابع مركباً توهم الناس ان خير الدين بربروس هو الذي أثار البحر وهيجه وأغراه على اغراق سفنهم وبلغ الخوف من قادة الجزائر اقصى درجة حتى أصبح أهل اسبانيا وإيطاليا إذا ما حدثت جريمة أو سرقة أو وقع فساد أو تخريب أو مرض أو وباء أو قحط قالوا خير الدين وأصحابه هم السبب في ذلك وكانوا في عويلهم يرددون :

بر بروشه بر بروشه

أنت صاحب كل شر

ما كان من ألم أو عمل

مؤذ وجهنمي مدمر

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص219.

إلا والسبب فيه هذا القرصان

الذي لا نظير له في العالم.[1]

تاسعا: آخر غزوات خير الدين ووفاته في 1543.

ساءت العلاقة من جديد بين إسبانيا وفرنسا، بسبب قتل الإسبان للرسولين فرنسيين في لومبارديا بإيطاليا، حيث كان أحدهما يعبر الأراضي الإيطالية حاملا رسالة إلى دولة البندقية، والثاني كان يحمل رسالة إلى السلطان سليمان القانوني. وذلك في ظل معاهدة سلام كانت منعقدة بين فرنسا وإسبانيا .

وبناء على هذه الحادثة فقد عادت الحرب بين البلدين، فأصدر السلطان القانوني أمره إلى خير الدين بضرب السواحل الإيطالية، فخرج في أسطول كبير واحتل غويتة Goeta ونيس Nis، وهدد روما ، ثم قام باتخاذ مدينة مرسيليا مقرا عاما للأسطول العثماني، حيث اجتمع الأسطول العثماني والفرنسي ليهاجما من هناك مدينة نيس لتحريرها من الاحتلال الإسباني وإعادتها إلى فرنسا[2]، وبعد حياة حافلة بالمغامرات مكللة بالانتصارات، توفي بطل البحرية العثمانية، ومؤسس إيالة الجزائر خير الدين بربروس في إستانبول سنة 1546 ، ودفن في ساحل بشكتاش بإستانبول.

[1] عن (مجلة تاريخ وحضارة المغرب) كلية الآداب في الجزائر – يوليو 1969 العدد 6 و غارة شارل الخامس– بالحميس مولاي ص 34–55.

[2] محمد المداني، المصدر السابق، ص314–316.

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير خلصنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع ان :

مذكرات خير الدين بربروس تعد من أهم المصادر العثمانية التي أرخت للوجود العثماني في الجزائر، حيث ارخ خير الدين اهم المراحل التي مر عليه منذ انطلاقه في التجارة الى غاية وفاته مرورا بأهم الغزوات البحرية التي خاضها رفقة إخوته في الحوض المتوسط، وقد تمت كتابة هذه المذكرات في عصر السلطان سليمان القانوني و بأمر منه، وتوجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة في جامعة إسطنبول التركية.

-تعد مذكرات خير الدين بربروس في غاية الأهمية من حيث قيمتها التاريخية باعتبارها مصدرا أصليا وأساسيا لمرحلة تواجد الاخوة بربروس في شمال إفريقيا فهي شهادة حية عن الأحداث.

-كما أن المذكرات اشتملت على معلومات تاريخية من المصادر العربية أو التركية أو الأجنبية التي تحدثت عن تلك الفترة التاريخية.

- المذكرات التي بين أيدينا عبارة عن مصدر موثق لرحلة الإخوة بربروس وعلاقتهم بالدولة العثمانية، وأهل الجزائر وغيرها من الاحداث التي تخص الجهاد البحري.

-جاءت هذه المذكرات لترسيم اللحظات الأولي الدخول الأتراك للجزائر بإملاء صاحبها خير الدين بربروس غير انه لم يكتبها بنفسه بل استعان بالكاتب والشاعر التركي علي مرادي بطلب من السلطان سليمان القانوني ، أي أنها حتى وان كانت شخصية ؟ انها تحمل الطابع السياسى لأنها جاءت استجابة لأمر السلطان.

- المذكرات عبارة عن رحلة الأخوين بربروس الطويلة حيث جاءت تلبية للنداء لفتح الجزائر والغزوات التي قاما بها ، جعلت ملك اسبانيا بتوبيخ قادة جيشه قائلاً: " لقد جعلتموني في موضع استهزاء بين الملوك، لا يقدر أحد منكم أن يقف في وجه بربروس "، الصراع الصليبي المسيحي على سواحل شمال افريقيا والوازع الدين الذي تمتعا له الاخوين بربروس، حيث جعل خير الدين يسهب في ذكر جهود الاخوة في تحرير السواحل الجزائرية رغم قوة الاسبان.

– الشخصية البارزة في هذه المذكرات مع بداية الجهاد البحري للاخوة بربروس هي شخصية عروج ، فقد سرد احداث كثيرة لعروج حتى خيل أنه هو الرائد الأول للجهاد البحري وعندما انتهى في التحدث عنه الى غاية وفاته ، ظهرت شخصية خير الدين وانجازاته.

– خير الدين بربروس لم يكن مجرد قائد ضد الاسبان بل كان المؤسس الفعلي للدولة الجزائرية لحدودها الحالية ، وكيف انه ساهم في الحروب التي خاضها مع الاسبان ، وانجازاته فيما يتعلق بتنظيم الدولة الجزائرية .

وختاما يمكن القول أن هذه المذكرات ليست كتاب عادي، بل مصدر اصلي ومباشر لكتابة تاريخ الجزائري رغم أن الهدف من كتابة هذه المذكرات لم يكن موجها لعامة الناس بل كان موجها للسلطان.

قائمة المصادر

والمراجع

1- القرآن الكريم

2- المعاجم والقواميس

3- المصادر والمراجع

- ابن أبي الضياف،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: ش، ث ، و أ، الدار التونسية للنشر،د، س، ن، ج2. ل،ف.
- أبو العباس احمد بن خالد سلاوى، استقصاء لأخبار أبو العباس، دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصرى ومحمد الناصري .
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا. 1492-1792 ، ط.1 ، دار البصائر، الجزائر، 1428هـ / 2007م.
- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1756-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997،
- أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش، الجزائر، 1972
- الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد الأخضر، محمد حجي، ،الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط 2، 1983
- أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر ، عدنان محمود سليمان، ط 1 ، مؤسسة فسصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988، ج 1.
- بسام العسلي، خير الدين والجهاد في البحر 1470/1547 ط 1 ، سلسلة جهاد شعب الجزائر، دار النفائس،بيروت، 1400 - 1980م
- بوزياني الدراجي، نظام الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- ج. أو ها بنسترايت: رحلة العالم الألماني هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، د.ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، دس.
- جون .ب. ولف، الجزائر وأوربا 1500–1830، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1407هـ/1986م
- حنيفي هلايلي،أوراق في تاريخ الجزائر العثماني ، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ/2008م.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية ،عوامل النهوض كأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط 1 ، بورسعيد، 2001.
- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش، الجزائر، 1972.
- عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962، دار المعرفة، الجزائر.
- ف. تابسيل ،معجم الدول والأسر الحاكمة في العالم عبر العصور، الجزء الأول الألفبائي ، ترجمة أحمد عبد الباسط ، مراجعة إسحاق تواضروس عبيد ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2011.
- كاتب جلبي، تحفة الكبار في اسفار البحار، استنبول، 1329.
- مجهول المؤلف ، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق د. عبد الله حمادي الجزائر ، دار القصبة للنشر، ،2009.
- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر (1512 –1543)، شركة الأصالة، الجزائر 2012.

- مذكرات خير الدين بربروس، تر: د.دراج محمد ، ط2، دار طليطة، للنشر والتوزيع، الجزائر، 1436هـ/2015م.
- منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الامارة الى الخلافة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2013.
- هايدو، فراي دييغو ، تاريخ ملوك الجزائر، ت رجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، ط 1 ، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،2013.

4-الرسائل الجامعية والمذكرات:

- شقدان بسام كامل ، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ / 1235 - 1555م ، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.
- كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنيين(9-10هـ / 15-16م)، شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2013-2014.
- محمد العباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلّف مجهول من سنة 918هـ / 1512م الى سنة 953هـ/1546م، رسالة ماجستير، إشراف الجيلالي سلطاني كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران 1426 1427هـ /2005-2006م.

5- المجلات:

- عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول 1519 ، مجلة التاريخية المغاربية، عدد6، 1976.
- مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب في الجزائر - يوليو 1969 العدد 6 و غارة شارل الخامس- بالحميس مولاي .

6-المواقع الإلكترونية:

- www.alukah.net

7- المراجع الأجنبية:

- Bebrugger, Les époques militaires de la Grande kabylie, Alger, 1857.
- Aldo Gallotta," Seyid Murâdi Gazvât-ı Hayreddîn Paşa adlı (1) = eseri " Cev. Mahmut H. Şakıroğlu, Erdem, Atatürk Kültür Merkezi Dergisi, sayı 10, İstanbul, Ocak 1988.
- Berbrugger, A, Le Pégnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algérie Paris, Challamel libraire, Alger, 1860.
- De Rotalier, Charles, Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans ma méditerranée a dater au seizième siècle, Paris, 1841.
- ekalın, Osmanlı Tarih deyimleri ve terimleri sözlüğü.c.
- Haedo Fray Diego De, Histoire de rois d'alger traduite et annotée.
- O. Houdas- R. Basset, Mission scientifique en Tunisie, II: Biliothèque. Les manuscrits arabes de Tunisie et de kairouan, Alger 1884,

فهرس

الموضوعات

فهرس الشخصيات	الصفحة
ابن القاضي	19-54
إسحاق	17-38-36
A. Berbrugger .بابروجيه .	66
خير الدين	6-10-16-18-22-26-33-34-38-39-43-33-45-48-60-69-
ريس بيري	1-38-4045-52-53
سالم التومي	56-57
سليم الأول	10-32-46-53-62
سليمان القانوني	9-11-12-15-19-21-23-24-45
شارلكان	3-6-13-48-49-64
عروج	6-8-14-18-19-20-22-33-34-38-39-42-

43-46-49-53-58	
18	قرصوي
32-34-35	قرقرود
10-25-26-27	الياس
57	يحي التومي
6-14-26	يعقوب

الصفحة	الأماكن
26	Bonova
28	اقجة
31-32-33-34-35	انطاليا
6-42-48-49-50-51-52-53-54-	بجاية
63-64	تلمسان
50-56-57	تنس
4-12-39-45-46	جربة
6-48-51-53-54	جيجل
12-40-51	حلق الوادي
6-12-23-24-26	رودس

سردينيا	33
مصر	5-23-33
ميديلي	5-23-34
الجزائر	44-45-47

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر والعرفان	/
الاهداء	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	أ-و
مدخل تمهيدي	
تمهيد	8
أولا: التعريف بالكاتب	9
ثانيا: شكل المذكرات وأسلوبها	9
ثالثا: التعريف بصاحب المذكرة	10
رابعا: تعريف بمترجم المذكرة: محمد دراج	12
خامسا: محتوى المذكرات	12
سادسا: الوصف الخارجي للمذكرات	14
سابعا: مقاساته	15
ثامنا: سبب كتابة المذكرة	15
تاسعا: ترجمات الكتاب	16
عاشرا: القيمة التاريخية للمذكرات، الأهمية، والنقد	16
الحادي عشر: خاتمة المذكرات	21
الفصل الأول: بداية التواجد العثماني في جزيرة ميدلي	
تمهيد	23

أولا: استقرار عائلة خير الدين بربروس في جزيرة ميدلي	24
ثانيا: عروج أسير لدى النصارى في جزيرة رودس	26
ثالثا: فرار عروج من الأسر	31
رابعا: عروج في مصر	33
خامسا: عروج في تونس	39
الفصل الثاني: بروز الإخوة بربروس في الجزائر	
تمهيد	49
أولا: دور الاخوة بربروس في تحرير سواحل الحوض الغربي للمتوسط	50
ثانيا: تحرير جيجل و بجاية من الاسبان	51
ثالثا: مسألة تحرير مسلمي الأندلس	52
رابعا: المحاولة الثانية لتحرير بجاية	54
خامسا: الاستيلاء على مدينة الجزائر	56
سادسا: استشهاد عروج رايس عام 1815	58
سابعا: إخضاع تلمسان	63
ثامنا: شارلكان – و خير الدين بربروس	64
تاسعا: آخر غزوات خير الدين ووفاته في1543	66
خاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	70
فهرس الموضوعات	/
الملاحق	/
الملخص	/

ملاحق

الملحق رقم **01**: صورة خير الدين بربروس

ايت بلقاسم (مولود قاسم) شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة .**1830**

الجزء ،**1** ط،**2** الجزائر: دار الأمة، **2008** .

الملحق رقم **02**: صورة لقبر خير الدين بربروس في الوسط

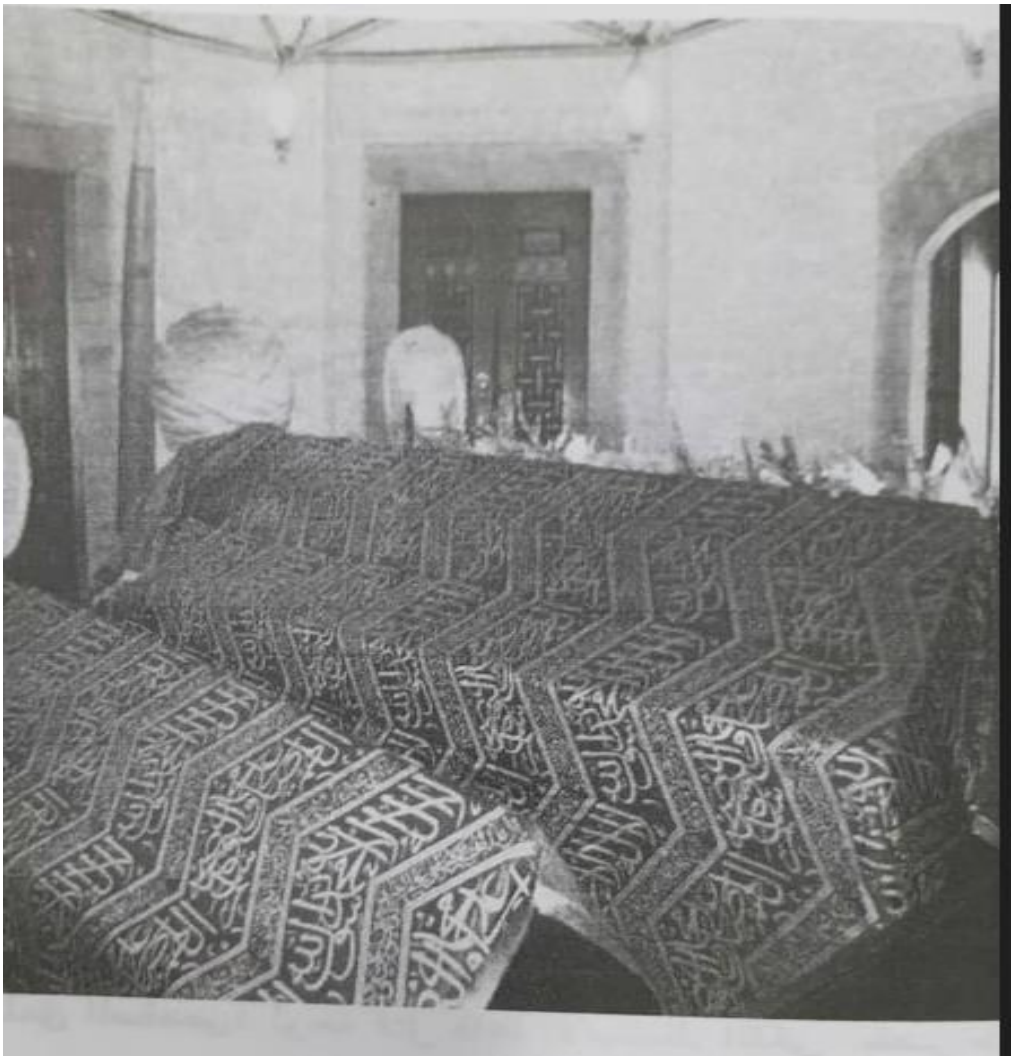

المصدر : محمد دراج الدخول العثماني الى الجزائر، المصدر السابق، ص**351**.

المحلق رقم **03** تمثال لخير الدين بربروس اوخواته.

المصدر : بسام العسلي ، خير الدين بربروس، المصدر السابق، **183**.

الملحق رقم **04**: صور ة عروج ريس

المصدر:بسام العسلي ، خير الدين بربروس، المصدر السابق، **185**.

الملحق رقم **05**

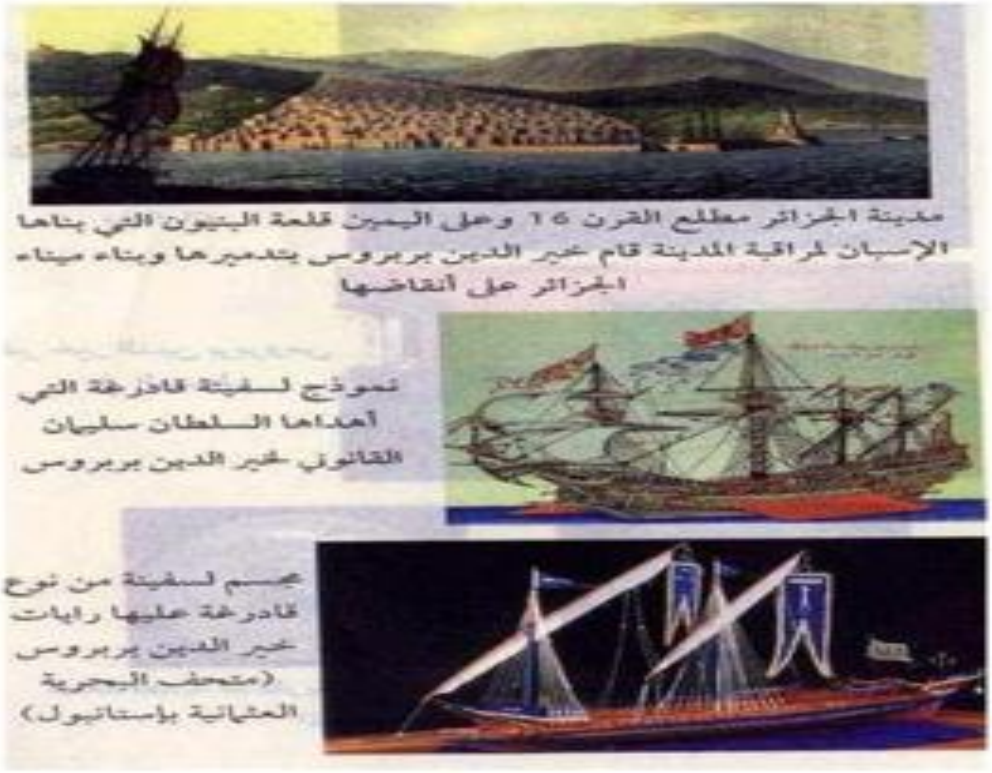

مجسم لمدينة البنيون ، وكذا السفينة التي اهداها السلطان سليمان القانوني لخبر الدين ، وكذا مجسم من نوع قاردغة .

المصدر : خير الدين ربروس ، المصدر السابق، ص**115**.

الملحق رقم **06**

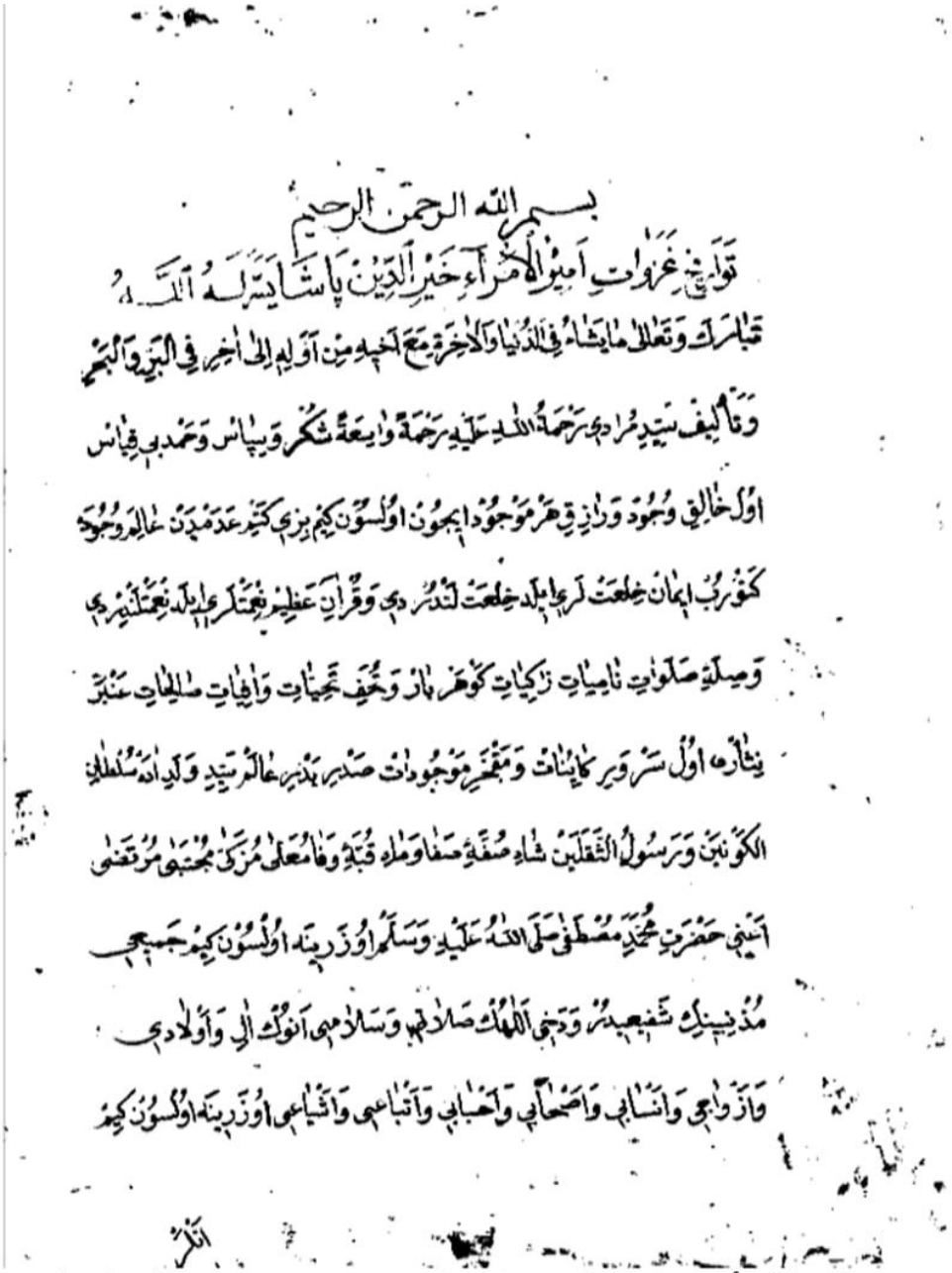

بسم الله الرحمن الرحيم

تواريخ غزوات أمير الأمراء خير الدين باشا يسر له الله

تبارك وتعالى ما يشاء في الدنيا والآخرة مع أخيه من أوليه إلى آخره في البر والبحر

وتأليف سيدي مراد برحمة الله عليه رحمة واسعة شكر وبياس وحمد بن قياس

أول خالق وجود وراذق هر موجود ايجون اولسون كيم بزي كتيه عدم دن عالم وجوده

كتورب ايمان خلعت لرعايه لد خلعت لتدثر دي وقرآن عظيم بخشلر عايله نعمتلنيرد

وصلة صلوات نامياات زكياات كوهر بار وتحف تحياات وافياات صالحات عنبر

بثارة اول سرور كاينات ومفخر موجودات صدر بدر عالم سيد ولد آدم سلطان

الكونين ورسول الثقلين شاه صفه صفا وملاذ قبه وفا معلى مزكى مجتبى مرتضى

آنبي حضرت محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم اوزرينه اولسون كيم جميعي

مذنبلرك شفيعيدر ودخي الهك صلاتهم وسلامي انوك الي واولادي

وازواجي وانسابي واصحابي واحبابي واتباعي واشياعي اوزرينه اولسون كيم

الورقة الأولى من مذكرات خير الدين بربروس، مكتبة جامعة إستانبول، رقم: T 94

الورقةالأولى من مذكرات خير الدين بربروس.

المصدر :د.محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المصدر السابق، ص**280**

الملحق رقم: **07** رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية.
(أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

المصدر : مذكرات خير الدين بربروس: المصدر السابق، الملحق رقم **01**، ص**190**.

ملخص:

جاءت دراستنا حول مذكرات خير الدين بربروس قد اشتملت على العديد من الإشارات التي تتعلق بتاريخ الجزائر العثمانية في المجال العسكري والسياسي والإقتصادي، أمام غياب الإشارات التاريخية ذات الطابع الإجتماعي والثقافي.

ولعل هذا الإقصاء المتعمّد مُرتبط بطبيعة المذكرات التي كان الغرض منها جمع خلاصة تجارب شخصية ذات طابع بطولي موجهة للإستثمار من طرف السلطان العثماني، لذا فإن ما انطوت عليه هذه المذكرات من أحداث تاريخية يكمن أن تنير بعض الجوانب المظلمة من تاريخ الجزائر العثماني، خاصة وأن عرضها جاء مُفصلاً مُدعما بالإحصائيات العددية التي قلما نجدها في مذكرات أخرى.

الكلمات المفتاحية: المذكرات، خير الدين بربروس.

summary:

Our study of the memoirs of Khair al-Din Barbaros included many references related to the history of Ottoman Algeria in the military, political, and economic fields, in light of the absence of historical references of a social and cultural nature.

Perhaps this deliberate exclusion is related to the nature of the memoirs, the purpose of which was to collect a summary of personal experiences of a heroic nature, intended for investment.

By the Ottoman Sultan, so the historical events contained in these memoirs are intended to illuminate some of the dark aspects of the Ottoman history of Algeria, especially since their presentation was detailed and supported by numerical statistics that we rarely find in other memoirs.

Keywords: Memoirs, Khair al-Din Barbaros.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: النوابغ العثمانيين في الجزائر من خلال مذكرات هيرالدين بربروس

إعداد الطلبة:

1- بلبوذيني سعاد
2- بن عادل مسعودة

القسم: **الشعبة:** التخصص

إشراف: - لهنية بن رحال **الرتبة:** أستاذ محاضر أ .

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): **رئيس فريق الاختصاص** **رئيس القسم**

موافقة

د/بوقرفلة عبد المالك

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
الرقم: /2024

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): لسعاد بلوذيني

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 207499064

الصادرة بتاريخ : 21 - 02 - 2022 عن دائرة : المسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل: 180180232303409328 87

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج ليسانس، مذكرة ماستر ' مذكرة ماجستير ' اطروحة دكتوراه)

عنوانها: القواعد العثمانية في الجزائر
من خلال مذكرات خير الدين بربروس

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في بحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/06/03

امضاء المعني (ة):

قرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): بن عادل مسعودة

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 206808152

الصادرة بتاريخ : 2021.06.23 عن دائرة : أولاد دراج

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: قسم التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 202323034093421

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج ليسانس، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه)

عنوانها: - التواجد العثماني في الجزائر من خلال مذكرات خير الدين بربروس

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024.06.03

امضاء المعني (ة):

مع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.